
التدبر في القرآن
۲/۱

بسم الله الرحمن الرحیم

التدبر فی القرآن

کاتب:

محمدرضا الحسینی الشیرازی

نشرت فی الطباعة:

محمدرضا الحسینی الشیرازی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

التدبر فى القرآن

اشارة

تقريراً لدروس الفقيه الورع

آية الله المعظم السيد محمد رضا الحسينى الشيرازى(رحمه الله)

الجزء الثالث

التدبر فى آيات سورة آل عمران

فضل السورة

روى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبى (صلى الله عليه وآله) فقال: تعلموا سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما الزهراوان، تظلّان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف.

وعن أُبى بن كعب عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس.

المدخل

قبل البدء بتفسير آيات هذه السورة المباركة ينبغى تقديم مقدمة لعلها تلقى الأضواء على الأجواء التى كانت تكتنف نزول هذه السورة الشريفة، والمقدمة هى:

التحدى مفترق طرق الحضارات

التحدى مفترق طرق الحضارات

التحدى مفترق طرق الحضارات

هناك نظرية فى علم الحضارات ذكرها أكبر مؤرخى القرن الماضى بعد أن درس تاريخ عشرات الحضارات تقول: إنّ التحدّى هو مفترق طرق الحضارات.. فالحضارات ومجتمعاتها تواجه دائماً تحدياً إمّا أن تنتهى به أو ترتفع، ولم تشذ الحضارة الإسلامية عن هذه القاعدة المطردة، فقد واجه المجتمع الإسلامى فى بداية نشأته، نحوين خطيرين من أنحاء التحديات أشير إليهما فى هذه السورة المباركة، هما:

١- [التحدى العسكرى]

وهو تحدى خطير جداً؛ إذ بإمكانه القضاء على الدين، لولا لطف الله وعنايته ورحمته.. فقد تظاهرت كل القوى العالمية آنذاك- اليهود والنصارى والمشركون والروم والفرس- ضد الدين الجديد الذى كان يمثله ثلة مؤمنة قليلة فى المدينة المنورة.

وقد تمثل هذا التظاهر بشن الحروب المباشرة وغير المباشرة من خلال التحريض عليها والسعى الحثيث فى وقوعها أو دعمها مادياً

ومعنوياً، فلو أنّ المسلمين كانوا يهزمون فى إحدى تلك المعارك – وكادوا أن يهزموا ويسحقوا فى معركة أحد، حيث لم يبق على هزيمتهم إلا القليل – لانتهى الإسلام إلى الأبد وقضى عليه، لذا خاطب النبى(صلى الله عليه وآله) الله عزّ وجلّ فى إحدى تلك الحروب –وهى غزوة الخندق التى وقعت سنة خمسة للهجرة– قائلاً عندما برز على ابن أبى طالب(عليه السلام) لعمر ابن ود العامرى: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله، إلهى إن شئت أن لا تعبد فلا تعبد).. فلو كانت تقع الهزيمة لم يكن ليبقى موحدٌ على وجه هذه الكرة الأرضية..».

وكذلك فى معركة حُنين، إذ قال تعالى?: {..وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} ?..فلو هزمت هذه القلة لانتهى كل شىء ولم يبق موحد ينشر دين الله سبحانه وتعالى..

وفى آيات هذه السورة — آل عمران – هناك إشارة واضحة إلى هذا النحو من التحدى، كالإشارة الموجودة فى الآية المباركة التى تتحدث عن معركة بدر وأحد، إذ يقول الله تعالى فى كتابه المجيد?: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ}، ?..ويقول: { وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.?

٢– [التحدى الحضارى]

وهو لا يقل خطورة عن النحو الأول إن لم يكن أخطر منه، وهويشمل التحدى الثقافى والفكرى، علماً بأنّ نجاح الأعداء فى هذا التحدى يعنى: سقوط الأمة حضارياً.. وإنتهائها.. والأمة الساقطةُ حضارياً ساقطة معنوياً وإن لم ينته وجودها المادى..

وقد قام بهذا التحدى أحبار اليهود، وعلماء النصارى والمشركون.. حيث كانوا يحاولون أن يسقطوا المجتمع الإسلامى بإسقاط القاعدة الفكرية التى يبتنى عليها، وفى هذه السورة إشارة إلى هذا اللون من التحدى، فيمكن –والله أعلم– أن نلخِّصَ السورة فى كلمة واحدة وهى: «المجتمع المسلم فى مواجهة التحديات».

[نصارى نجران نموذجاً للتحدى الحضارى]

ذكر المؤرخون: إنّ وفداً ضخماً ومهماً ضم ستين شخصية كبيرة من نجران، بعضها شخصيات اجتماعية وبعضها علمية، قدم إلى المدينة وعليهم جُبب وأردية يرتدون ثياب الحَبِرات، وفى مقدمتهم أسقفاً من أساقفة النصارى يُسمّى أبو حارثة، وقد كان ملوك الروم قد شرّفوه وموّلوه، وبُنيت تحت إشرافه مجموعة من الكنائس.. جاء والتقى النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) فى تحدى حضارى فكرى وثقافى، حتى أنّ بعض الصحابة قال: ما رأينا وفداً مثلهم!!

وكان سقوط المسلمين فى هذا التحدى يعنى نهايتهم..

فدخل الوفد مسجد النبى(صلى الله عليه وآله) وكما يبدو أنّ تحريم دخول الكفار المساجد شُرِّع فيما بعد، ولما حان وقت الصلاة ضربوا بنواقيسهم أمام المسلمين وصلوا باتجاه المشرق، فقالت الصحابة: يا رسول الله هذا مسجدك!! فقال النبى الأعظم(صلى الله عليه وآله): دعوهم، فصلّوا.. وبعد أن انتهوا جاءوا إلى النبى الأعظم(صلى الله عليه وآله) وقد عرض عليهم الإسلام، فقالوا: أسلمنا قبلك.. أى لا حاجة بنا إلى هذا العرض، ثم حاجّوا النبى(صلى الله عليه وآله) فى دينه، وعلى إثر هذه القضية كما يقول المؤرخون نزلت ثمانون ونيفاً من آيات هذه السورة المباركة.

الآيات

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم * اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ

وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَام * إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

المفردات

الم: حروف الهجاء التى يتألف منها الكلام البشرى وهى فى متناول الجميع، وقد أنشأت من جنسها القاعدة التى تبتنى عليها جميع التحديات الفكرية والثقافية، وهى دليل على أنّ الإنزال من الله عزّ وجلّ، وليس كما يزعم الكفار أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) تعلمه من بعض الأعجميين.

الله: عَلَم للذات المستجمعة لجميع صفات الكمال.

لا إله إلا هو: متفرد بالواحدانية، متفرد فى الإلوهية.

الحى: صفة مشبهة تدل على استمرار الحياة الذاتية التى لا تستمد من مصدر فى وجودها الحياة التى لا أول لها، لأنها لم تنشأ من العدم والتى لا آخر لها لكونها عين الذات.

القيّوم: القائم بتدبير النظام التكوينى والتشريعى، وهو اسم لله عزّ وجلّ ومنشأ جميع صفات الفعل.

نَزَّل: التنزيل يدل على النزول التدريجى، كما أن الإنزال يدل على النزول الدفعى.

الكتاب: القرآن الكريم الذى هو مصدر للدين المنزل مِن قَبل الله تعالى.

بالحق: الباء للمصاحبة، أى مصحوباً بالحق، والحق: الشىء الثابت الذى لا طريق للباطل إليه بأى وجه من الوجوه.

مصدّقاً: القرآن يصدّق جميع الكتب والأنبياء السابقين.

لما بين يديه: ما تقدّمه (من الكتب السماوية والأنبياء السابقين).

من قبل: قبل نزول القرآن.

عزيز: العزة تعنى القدرة، والعزيز هو الذى له إرادة تَغلِب ولا تُغلب، فالله تعالى قادر غالب وإرادته قاهرة.

ذو انتقام: منتقم والانتقام: مجازاة المسيىء بإسائته.

الفرقان: الآيات المحكمة التى لا ريب و لا شك فيها.

شيء: نكرة فى سياق النفى تدل على الإطلاق وتنضوى تحت إطلاقها جميع الوجودات، والشىء مساوق للوجود، فكل موجود محاط بعلم الله تعالى

يصوركم: التصوير يعنى جعل الشىء على صورة وهيئة لم يك عليها.

الحكيم: من يضع الأشياء فى مواضعها.

التفسير

التفسير

تشير الآيات فى السورة المباركة بعد البسملة إلى أهم تحدى من التحديات الفكرية والثقافية، وهو إثبات مصدر القرآن الكريم، إذ أنّ أهم قضية فى القرآن الكريم هى: مصدرهُ، وهنا يطرح السؤال التالى وهو: ما هو مصدر القرآن الكريم، وهل أنه كلام بشرى أو وحى إلهى؟

[الوحى مصدر القرآن الكريم]

* الم: تُثبِت الأحرف الثلاثة - الحروف المقطعة- أنّ مصدر القرآن الكريم هو الوحى الإلهى، علماً أنّ معظم السور القرآنية التى احتوت على الحروف المقطعة تكون بعدها إشارة إلى القرآن الكريم، وهو مؤيد على أنه وحى إلهى، وقد نقل الحويزى فى تفسيره مؤيداً آخر وهى الرواية المروية عن الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام):

حدثنا محمد بن القاسم الاسترابادى المعروف بأبى الحسن الجرجانى المفسر رضوان الله تعالى عليه قال: حدثنى أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وابو الحسن على بن محمد ابن سيار عن أبويهما عن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) أنه قال: كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا": سحر مبين تقوّله "فقال الله: "الم ذلک الكتاب "أى يا محمد هذا الكتاب الذى انزلناه عليك هو بالحروف المقطعة التى منها" الف، لام، ميم "وهى بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلک بسائر شهدائكم، ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله": قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا."

[العلل الأربع فى الماديات]

وهنا يطرح سؤال وهو: كيف تكون الإجابة على هذا التحدى من خلال هذه الحروف؟

وللجواب على هذا السؤال نقدم مقدمة وهى: إنّ كل شىء مادي — من موجودات عالم الطبيعة- يتكون فى قوامه من علتين، ويستند أيضاً إلى علتين أخريين لا تدخلان فى قوامه:

العلة الأولى: التى تدخل فى القوام، هى العلة المادية، فالمادة الخام التى يتكون منها الشىء يقال لها العلة المادية، كالمنضدة فإنّ علتها المادية الخشب الذى جُلِبَ من الغابة وكَوَّنت منه مادة الخام.

العلّة الثانية: هى العلة الصورية، وهى الصورة التى تضفى على المادة، فالمنضدة تختلف عن الباب، والاختلاف بينهما ليس فى المادة فكلتاهما من الخشب، بل فى صورتهما المضفاة عليهما.

العلة الثالثة والرابعة وهما اللتان لا تدخلان فى قوام الشىء وإنما يُستند إليهما فى وجوده فهى: العلة الفاعلية ومثالها صانع المنضدة، والعلة الغائية ومثالها الهدف من صناعتها.

بعد هذه المقدمة نقول: ربما يظهر من الآية والآيات المماثلة أنّ القرآن الذى بين أيديكم، لا يتكون من مادة بعيدة عنكم، بل هى فى متناول الجميع حتى الصبيان..

فإنّ الف لام ميم.. تتكلمون بها فى كلامكم العادى، ولكن هذه المادة أفيضت عليها هذه الصورة المعجزة التى أعجزت البشرية فى كل أبعادها..

بالطبع التحدى غير مقتصر على بعد واحد وإنما هو تحدى فى كل الأبعاد.. فالقرآن الكريم بعلته الصورية.. بهيئته التركيبية تحدى جميع البلغاء فى العالم، بل أعاظمهم كالوليد ابن المغيرة الذى قيل فيه: { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ }.

[القرآن يتحدى]

هناك سؤال آخر يطرح وهو: لماذا خاض أمثال أبى سفيان و جماعته، واليهود والروم والفرس وبقية القوى، الحروب والمعارك وبذلوا أموالهم وخسروا كبارهم من أجل إنهاء القرآن الكريم، ألم يكن الأفضل لهم أن يعقدوا مؤتمراً لشهر أو سنة ليأتوا بسورة كسورة الكوثر أو كسورة التوحيد أو سطرين أو ثلاثة أسطر؟ ألم يكن ذلک أيسر من خوض المعارک والمؤامرات والمطاحنات؟

والجواب على ذلک العجز والضعف، فهذا الدين الذى يهدّدهم تهديداً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً أخذ يدمر جميع بناهم وتحدّاهم كتابه بأن يأتوا بمثله فلم يقدروا.. تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، لم يتمكنوا.. تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، بل بسطرين،

فعجزوا عن ذلک، بل وکانوا یسقطون أمامه.

فهذا لُبَیْد الشاعر المعروف جاء النبی (صلی الله علیه وآله) وسمع منه بعض الآیات فآمن علی یدیه، وعندما طُلب منه قراءة شیئاً من الشعر قال ما معناه: لم أکن لأقرأ شیئاً من الشعر بعد سورة البقرة وآل عمران.

وذاک الولید ابن المغیرة الذی کان یحتکم إلیه دنا من النبی الأعظم (صلی الله علیه وآله) وقال له: یامحمد أنشدنی من شعرک، فقال – النبی الأعظم (صلی الله علیه وآله) –: ما هو بشعر، ثم تلی علیه آیات من سورة فصلت، فذهل الولید وقامت کل شعرة فی رأسه ولحیته.

ولیس ذاک بعجیب لأن الشاعر والأدیب یشعران بعمق القرآن وغوره..

ومنذ ذلک العهد حتی الیوم وقد مضی علی هذا التحدی أکثر من ۱۴۰۰ عام لم تتمکن القوی العالمیة التی تبذل الأموال الطائلة لصناعة المؤامرات و التخطیطات الشیطانیة و المعارک الطاحنة، من التحدی سابقاً ولاحقاً، وفشلت فی تصفیة هذا الدین فشلاً ذریعاً؛ حیث لم یتمکنوا أن یأتوا حتی بسورة واحدة.

نقل أحد العلماء أنّ أدیباً مسیحیاً یعیش فی لبنان یقول لأدیب مسلم: کیف تدّعون أنّ القرآن معجزة وتحدی؟ أنا آتی بمثله، فقال الأدیب المسلم: حسناً صُغ لنا جملة أدبیة فی معنی معین وأنت أدیب مقتدر، فصاغ جملة وعرضها علی الأدیب المسلم.

فقال له: صُغ لنا جملة ثانیة وثالثة وهکذا إلی عدة جمل فصاغها، فقال الأدیب المسلم: أرأیت هذه الجمل البلیغة التی صُغتها ببلاغتک کلها مجموعة عندنا فی جملة واحدة، ثم تلا علیه آیة تتضمن نفس المعنی، وإذا بالأدیب المسیحی یذهل و یدهش و یخر بین یدیه مُسقَطاً ما فی یده!!.

[إعجاز القرآن فی تشریعاته]

مثّل القرآن الکریم فی تشریعاته تحدیاً لکل البشریة خاصة العلماء وذوی الاختصاص کعلماء القانون وفقهائه ممّن وقفوا أمام هذه التشریعات بعد ۱۴۰۰ عام منبهرین، إذ لم یتمکنوا من فهم التشریعات القرآنیة کل الفهم.

ففی آیة الدَیْن –أطول آیة فی القرآن الکریم– یقول القمّی فی تفسیره أنها تضمّنت خمسة عشر حکماً، قال تعالی: { یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُواْ إِذَا تَدَایَنتُم بِدَیْنٍ إِلَی أَجَلٍ مُّسَمًّی فَاکْتُبُوهُ وَلْیَکْتُب بَّیْنَکُمْ کَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ یَأْبَ کَاتِبٌ أَنْ یَکْتُبَ کَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْیَکْتُبْ وَلْیُمْلِلِ الَّذِی عَلَیْهِ الْحَقُّ وَلْیَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ یَبْخَسْ مِنْهُ شَیْئًا فَإن کَانَ الَّذِی عَلَیْهِ الْحَقُّ سَفِیهًا أَوْ ضَعِیفًا أَوْ لاَ یَسْتَطِیعُ أَن یُمِلَّ هُوَ فَلْیُمْلِلْ وَلِیُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِیدَیْنِ من رِّجَالِکُمْ فَإِن لَّمْ یَکُونَا رَجُلَیْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَکِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَی وَلاَ یَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَکْتُبُوْهُ صَغِیرًا أَو کَبِیرًا إِلَی أَجَلِهِ ذَلِکُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَی أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَکُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِیرُونَهَا بَیْنَکُمْ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَکْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَایَعْتُمْ وَلاَ یُضَآرَّ کَاتِبٌ وَلاَ شَهِیدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِکُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَیُعَلِّمُکُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ.

ولم یقتصر عدم الفهم والانبهار علی علماء القانون، بل حتی علماء التاریخ وقفوا منبهرین أمام تنبئات القرآن الکریم.. وکذلک علماء الطبیعة، ولیس ذلک بعجیب فالجاهل قد لا یفهم الإشارات الطبیعیة فی کتاب الله عزّ وجلّ، ولکنّ عالم الطبیعة، عالم الذرة،،عالم النبات،عالم الفلک عندما یقرأون القرآن الکریم یقفون مذهولین لأنهم یفقهون عظمة ما یقرأون.

وعلی کلٍّ فقد تحدی القرآن فی کل شیء: فی البلاغة، الفصاحة، التشریع، المعارف الإلهیة..أنصع المعارف الإلهیة موجودة فی القرآن إذا ماقارناها بمعارف التوراة والإنجیل المنحرفتین، وبکتب الفلاسفة والعرفاء، فالفرق بینها وبین القرآن الکریم کبیر فی التشریع والطبیعة والفلک وبقیة الأبعاد.

إذن هذه الأحرف الثلاثة: هی القاعدة التی تبتنی علیها جمیع التحدیات الفکریة والثقافیة.

﴿ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ؟ ﴾ ﴿ نَزَّلَ عَلَيْکَ الْکِتَابَ بِالْحَقِّ﴾

القيّوم: قيوم على نظام التكوين، قائم بتدبيره، لم يترك الكون كما قالت اليهود؟: {.. يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ.. }، ?بل هو {.. قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.. } فهذه هى القيمومة التكوينية، وهو قيّوم بالقيمومة التشريعية أيضاً: ولم يترك البشرية بلا دين وبلا تشريع، فكما أنه تعالى قائم على نظام التكوين كذلك قائم على نظام التشريع.

صفات القيمومة الإلهية

۱– [أنهاغير قابلة للإنفكاک]

ربما تكون هناك حياة بلا قيمومة، كأن يحكم ملك بلداً ولكنه ليس قيماً عليها فتسترسل الأمور على رسلها فى ذاك البلد، فهو حيٌّ ولكنه ليس قائماً..

وربما تكون قيمومة بلا حياة كما فى قيمومة العلل الطبيعية على فرض القيمومية لها.. ولكن قيمومة الله تعالى ملازمة للحياة ملازمة غير قابلة للانفكاك.

۲– [القيمومية مرجع كل صفات الفعل]

القيوم اسم من الأسماء الحسنى لله تعالى، ومنها تتفرع جميع صفات الفعل، فإنّ لله عزّ وجلّ صفات ذات وصفات فعل، وصفات الفعل تنشأ كلها من صفة القيومية، فالله تعالى رازق فى نظام التكوين والرازقية صفة فعل وهى تنشأ من قيمومته تعالى.. وهو تعالى هادى فى نظام التشريع وهذه الهداية تنبع من قيومية الله سبحانه وتعالى، وكذلك أنه عزّ وجلّ محيى ومميت.. إذن جميع صفات الفعل تنشأ من هذه الصفة لا كما يدعى أحد فلاسفة الغرب: إنّ الله سبحانه أرفع وأجل من أن يشرّع ديناً لهذه البشرية!!

[قاعدة اللطف]

[قاعدة اللطف]

سُئل المرجع المشهور السيد البروجردى: بأى دليل تقولون بأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان؟ فقرأ بيتاً باللغة الفارسية معناه باللغة العربية:

«إذا رأيت أعمى يمشى وأمامه بئر يخشى أن يسقط فيها، ولا يوجد مانع من تحذيره فإذا لم تحذره فهذه جريمة».

ويظهر من كلامه رحمه الله أنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يبتنى على قاعدة عقلية: وهى قاعدة اللطف المذكورة فى علم العقائد.

مثال توضيحى

لو شاهد الوالد ابنه جالساً على مائدة يتناول طعاماً مسموماً، فهل أنه يرفض التدخل فى شأنه ويترك تنبيهه؟!! هذا خلاف اللطف.. الله تعالى لطيف بعباده، ولا مجال للقول: إنّه عزّ وجلّ أرفع من أن يشرع دينا للبشرية، فبمقتضى لطفه وكرمه ورحمته يرشد الذين لا يميزون خيرهم من شرهم، فكما هو قائم عليهم فى نظام التكوين قائم عليهم فى نظام التشريع، وبذلك يظهر زيف العلمانية التى تفصل الدين عن الحياة والسياسة والنظام المدنى، لأنّ من لا يعرف مصالحه ومفاسده يحتاج إلى دليل ومرشد وهذا الأمر من البديهيات

العقلیهٔ.

*نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَیْنَ یَدَیْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِیلَ *

[موقف القرآن الکریم من الدیانات السابقهٔ]

بما أنّ سورهٔ – آل عمران – نزلت فی جَوٍ مشحون بالتحدیات، لذا ورد فیها هذا التحدی فضلاً عن تثبیتها المؤمنین.. وعلیه ینبغی أن نشیر إلی إحدی النقاط المهمهٔ فی معترک التحدی الحضاری وهی موقف الدین من الأدیان السابقهٔ.

بالطبع نالت هذه القضیهٔ أهمیهٔ خاصهٔ فی السابق إلی عصرنا الراهن، بل إنّ الجهل بحقیقهٔ الموقف فی هذه القضیهٔ أحد العوامل المهمهٔ التی تُعیق حرکهٔ الإسلام فی العالم، لأنّ أغلب الأفراد فی العالم یجهلون حقیقهٔ هذا الموقف بما فیهم المسلمون.. وفی هذه الآیهٔ المبارکهٔ وفی آیات أخری یتجلی موقف الإسلام من الأدیان السابقهٔ، فما هو إذن الموقف من الأدیان السابقهٔ؟

الجواب: الموقف هو التصدیق، یقول تعالی: {.. مُصَدِّقاً لِّمَا بَیْنَ یَدَیْهِ..}، أی ما تقدمه من الکتب السماویهٔ.

[معنی التصدیق]

التصدیق یقع فی مقابل التکذیب، وهو بمعنی: القبول والإذعان والتأیید، وعلیه فإنّ: الإسلام یصدّق جمیع الرسالات السماویهٔ السابقهٔ ویصدّق جمیع الأنبیاء المتقدمین ابتداءً من نبی الله آدم وانتهاءً بنبی الله عیسی علیهم صلوات الله أجمعین.. ولا بأس هنا أن نشیر إلی نقطهٔ استغلها بعض المبشرین، حیث ذکروا فی کتبهم و منشوراتهم: أنّ الإسلام یرضی بالمسیحیهٔ ویصدّقها فکیف تقولون أنه نسخ الأدیان السابقهٔ؟ ولذا یحق للفرد أن یکون مسیحیاً أویهودیاَ، لأن الاسلام یقبل المسیحیهٔ والیهودیهٔ، قال تعالی: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَیْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ کُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِکَتِهِ وَکُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَکَ رَبَّنَا وَإِلَیْکَ الْمَصِیرُ }، وهذه شبههٔ نجیب علیها باختصار ببیان أمرین:

الأول: إن الإسلام یصدّق المسیحیهٔ والیهودیهٔ، والتوراهٔ والإنجیل اللذین لم تمتد إلیهما ید التحریف والتبدیل، أی یصدق الإنجیل والتوراهٔ الواقعیین ... وأمّا الإنجیل الّذی امتدت إلیه ید التحریف فهو لا یمثل الإنجیل الواقعی وکذلک التوراهٔ، والقرآن الکریم یشیر فی موارد متعددهٔ إلی أنّ التوراهٔ والإنجیل حُرِّفتا.

إذن التوراهٔ والإنجیل الموجودان بین أیدینا لایصدقهما القرآن؛ لوضوح وقوع التبدیل والتغییر فیهما، إذ أنّ أیادی التحریف امتدت إلیهما بعد نبی الله موسی وعیسی (علیهما السلام).. وهی لاتمثل الوحی.

ففی التوراهٔ أنّ نبی الله موسی (علیه السلام) مات و دُفن، و ذِکر الأحداث التی جرت بعد موته!! وبالذات الفصل الأخیر من سِفر التثنیهٔ، فمن الواضح أنّ ذلک لم یکن فی عهد نبی الله موسی (علیه السلام).

وکذا بالنسبهٔ إلی الإنجیل الموجود فعلا، فعلامات التبدیل والتحریف واضحهٔ فیه، ومن ذلک: أنّ رجلًا یقال له ماریولس أتی بعد رفع المسیح إلی السماء وکتب الإنجیل وشَرَّع فیه بعض الأحکام من قبیل ما ذکر فی مقطع من المقاطع یقول فیه: ((لا أسمح للمرأهٔ أن تتعلم ولا أن تغتصب السلطهٔ ــ من الرجل ــ ولا تتسلط، وعلیها أن تبقی صامته، لأنّ آدم کُوِّنَ أَوَّلًا، ثُمَّ حَوَّاءُ، ولَم یکن آدم هو الَّذی انْخدع بل المرأَهٔ انخدعت، فوقعت فی المعصیهٔ.))، فهو یصرّح قائلًا: أنا أقول.

وفی مقطع آخر یصرّح: هذا رأیی ولیس بکلام المسیح، وفی آخر یقول: أنا أقول لا ـ الرب!! ویقول أیضاً: إنّ المسیح شَرَّع الختان ولکنه لیس بشیء، وهی مقوله: قال الله وأقول!! ثم یفتی بعدم الختان فی قبال المسیح بن مریم(علیه السلام).

وکمؤید لما سبق جاء فی إحدی التقاریر أنّ المجمع المفَوّض للکنیسهٔ (وهو المعروف بالمجمع المسکونی حیث یجتمع بین فترهٔ وأخری لتبدیل الإنجیل) قال: إنّ الطبعات الجدیدهٔ للأناجیل حدثت فیها مجموعهٔ من التغییرات وإحدی هذه التغییرات أنه فی الأناجیل

القدیمـهٔ ذکرت عبـارهٔ: المسـیح ابن الله، ولکن فی الطبعـهٔ الجدیـدهٔ للإنجیـل بـدلت بعبارهٔ: المسـیح وَلَـدُ الله!!، وهناک فرق بین الابن والولد، الابن یعنی الذکر، والولد یعنی من وُلِدَ وهو: شمل الذکر والاُنثی، وذلک مراعاهٔ لمشاعر النساء فی العالم.

الثانی: إنّ التصدیق بالشـیء یعنی الإذعان به ضـمن شـروطه الموضوعیهٔ، وتبدیل تلک الشـروط والانتقال من حالهٔ إلی أخری لا یعنی تکـذیب الحالـهٔ السابقـهٔ، ولا بقاء امتـدادِ مقتضـی المرحلـهِٔ السابقـهِٔ إلی المرحلـهٔ القادمـهٔ.. وعلی سبیل المثال الطالب عندما ینتقل من الإبتدائیـهٔ إلی مرحلـهٔ أعلی فـإنه یقر بمرحلـهٔ الإبتدائیـهٔ.. وهـذا لاـ یعنی أن نـدرّس مناهـج الإبتدائیـهٔ لطلاـب الجامعـهٔ، فـإنّ الظروف الموضوعیهٔ إذا تبدلت مقتضیاتها تتبدل هی أیضاً.

إذن التصـدیق هو قبول جمیع الکتب الإلهیـهٔ المتقدمهٔ ولکن ضـمن مراحلها وضـمن شـروطها الموضوعیهٔ..، وهناک بحث متعلق بهذه القضیهٔ نشیر إلیه بعد الانتهاء من هذه الآیهٔ المبارکهٔ.

وعلیه فـإنّ معنی قوله تعـالی: { نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتَـابَ بِـالْحَقِّ مُصَـدِّقاً لِّمَا بَیْنَ یَـدَیْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاهَٔ وَالإِنجِیلَ} یکون کالتالی: الکتاب: هو القرآن الکریم، مصـدقاً لما بین یـدیه: یصدق جمیع ما تقدمه من کتب و أنبیاء، وأنزل التوراهٔ والإنجیل: هذا من باب ذکر الخاص بعد العام، وهـذه قاعدهٔ فی علم البلاغهٔ، ولعل السـرّ فی هذا التخصـیص بعد التعمیم ما تحمله التوراهٔ ویحمله الإنجیل من ثقل کمّی وکیفی فی المعادلات العالمیهٔ.

[بحث جانبی]

[بحث جانبی]

ربما یتسائل البعض ویقول: لماذا التصدیق بالرسالات المتقدمهٔ، ولماذا یؤکد القرآن الکریم علی هذا الأمر؟

وفی الإجابهٔ علیه نشیر إلی عدهٔ نقاط هی:

أولاً: [المراحل الأولی للرشد]

مهدت الرسالات المتقدمهٔ الطریق لرشد هذه الأمهٔ وإیصالها لمسـتواها الرفیع، وعلیه فلا بد أن ندین لها بالفضل ونشـکر لها المعروف، فهی کالإبتدائیهٔ والمتوسـطهٔ والثانویهٔ التی تکون سُلَّماً إلی الجامعهٔ، إذ عندما یصل الفرد إلی الجامعهٔ یکون من الوفاء ان یدین بالفضل لتلک المراحل التی أوصلته إلی هذه المرحلهٔ وهذا من عرفان الجمیل.

ثانیاً: [تعدد القدوات]

تعتبر الرسالات المتقدمـهٔ کمنابع للهدایـهٔ وومضات نور علی الـدرب، والإیمان بها هو عملیـهٔ توسـیع لـدائرهٔ القـدوهٔ، فمثلًا رؤیهٔ الناس لعـالم متقی فی بلـد مـا کالشـیخ الأنصـاری أو السـید حسـین القمّی، فـإنّ رؤیته تؤثر تـأثیراً بالغاً فی أهل ذلک البلـد منهجیاً وسـلوکیاً وأخلاقیاً، والـذین رأوا السـید حسـین القمّی (رحمهٔ الله علیه) فی العراق کانوا متأثرین به أشد تأثیر، وکثیر منهم ثبتوا علی دینهم لأنهم رأوا ذلـک النموذج.. وفی حیـاهٔ الأنبیاء السابقین نقاط اقتـداء عظیمـهٔ: فالنبی عیسـی (علیه السـلام) عنـدما نجعله ضـمن دائرهٔ الاقتـداء نسـتلهم منه زهده وتقواه، والنبی ابراهیم (علیه السلام) عندما نجعله ضمن دائرهٔ التصدیق یصبح ضمن دائرهٔ القدوهٔ والاقتداء، حیث إنه کان أسوهٔ فی التوحید والصمود والمعجزهٔ وتحطیم الأصنام.

ثالثاً: [الواقعیهٔ ورفض التعصب]

إن الإيمان بالنبوات المتقدمة يعبّر عن واقعية الإنسان تجاه الأحداث، حيث توجد حالة تعصب لدى بعض أتباع الديانات تجاه الأنبياء الآخرين، فاليهودى يقول: أنا يهودى ولا أقبل نبياً آخراً، والمسيحى يقول: أنا مسيحى ولا أقبل نبياً آخراً، وقد رفض اليهود النبى(صلى الله عليه وآله) لأنه لم يكن منهم مع أنهم كانوا ينتظرونه، ممّا يكشف عن حالة الانغلاق والتعصب، بينما المسلم منفتح على جميع الديانات الحقة ويعترف بها جميعاً وهذا يعبر عن واقعيته فى الحياة.

رابعاً: [الاستقطاب إلى الإسلام]

للإيمان أثر كبير فى تأليف القلوب ونزع الأحقاد واستقطاب الآخرين إلى دائرة الحق، وإلى ذلك يشير أحد العلماء الّذين كانوا يعيشون فى البلاد الغربية قائلاً: إنّ أكثر المسيحيين يجهلون إيماننا بالمسيح، بل هناك تمويه فى المدارس والجامعات وحتى فى البيوت بأن الإسلام والنبى محمد (صلى الله عليه وآله) عدوان للمسيح، هكذا يقولون، وهذه نقطة مهمة تقف أمام إذعانهم بالإسلام.. لذا ينبغى لنا أن نوضح لهم أنّ النبى (صلى الله عليه وآله) ليس عدواً للمسيح وأن الإسلام ليس عدواً للمسيح،..

حدث قبل أربعين عاماً أن سافر ثلاثة من العراقيين ليدرسوا فى إحدى جامعات إيطاليا، وتزوجوا خلال فترة دراستهم بثلاث مسيحيات، و بعد انهائهم الدراسة وأخذهم الشهادة عادوا إلى العراق بصحبة زوجاتهم، وبعد مدة رغبوا فى دخول زوجاتهم الدين الإسلامى، فجاء أحد الأفراد إلى الوالد وقال له: إنّ هؤلاء يرغبون أن يقنعوا زوجاتهم بالإسلام ولكنهنّ لا يقتنعن، أتأذن لنا أن نأتى بهنّ إليك لعل الله يمن عليهنّ بنور الإسلام على يديك؟ فقال الوالد: لا بأس، فجاءوا جميعاً –الأزواج والزوجات وآخرون عند الوالد– ودار بينهم حوارٌ طويل استغرق ما يقارب الثلاث ساعات حول الإسلام والمسيحية ختمه الوالد بذكره حقيقة كانت مؤثرة جداً فيهنّ وهى: إنّ نبينا يُكِنُّ لنبيكم أعظم احترام ويُكن لمريم أكبر احترام، وهكذا احترام لا تجدونه حتى فى المسيحية، فالقرآن الكريم يعتبر المسيح نبياً معصوماً عظيماً من أنبياء الله وأمّه كانت صدّيقة، بينما الكتاب المقدس (الإنجيل) يعتبر المسيح ملعوناً والعياذ بالله، وقد ذكر ذلك فى العهد القديم والجديد فى أعمال الرسل، حيث ذكر صراحة أن المسيح ملعون لأنه مصلوب، والفارق واضح بين الاعتبارين! فكان كلاماً مذهلاً بالنسبة لهم، ثم أراهم الوالد سورة مريم قائلاً لهم: فى أعظم كتاب عندنا سورة كامله باسم مريم، وأضاف أنّ إيمانكم بالإسلام لا يعنى رفضكم للمسيح أو لمريم(عليهما السلام).. وهذه الحقيقة هى التى جعلت الفتيات الثلاث يعتنقن الإسلام ويتشهدن الشهادات الثلاث.. إذن فالتصديق له أثر كبير فى تأليف القلوب واستقطاب الآخرين إلى دائرة الحق.

* مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ *

من قبل: من قبل نزول القرآن الكريم.

هدىً للناس: أى إنّ الهدف من إنزال هذه الكتب السماوية هو هداية الإنسان الذى يحتاج إلى أن يميّز بين الخير والشر وبين الصالح والطالح وبين ما ينفعه وما يضره، وهو أمر يثبته الواقع الخارجى، وهذه الرسالات الإلهية جميعها تهدف إلى هذا الهدف وتحققه.

الفرقان: ذهب بعض المفسرين إلى أنّ الفرقان يشمل جميع الكتب الإلهية التى أنزلها الله سبحانه لهداية عباده، بينما اختار البعض الآخر أنّ الفرقان هوالعقل، بقرينة التقابل بين الهداية الخارجية والداخلية، فكما أنّ هناك هداية خارجية تتمثل فى الكتب السماوية والأنبياء، هناك هداية داخلية تتمثل فى العقل، والفرقان هو العقل الذى يفرّق بين الحق والباطل، يقول الله تعالى فى كتابه المجيد: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } يعنى بصيرة تجعلكم تميزون بين الحق والباطل.

وهناك تفسير ثالث للفرقان أورده العياشى فى تفسيره برواية عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: الم إلى قوله وأنزل الفرقان، قال الإمام (عليه السلام): هو كل أمر محكم والكتاب جملة القرآن، ولعله يظهر من هذه الرواية أن الكتاب

الـذی أشـیر الیه بقوله عزّ من قائـل: {نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ بِالْحَقِّ}: إشارهٔ إلی مجموع هـذا القرآن، أما الفرقان: فهو الآیات الفارقـهٔ التی تمیّز و تنیر الطریق، حیث إن بعض آیات القرآن الکریم لا توجد فیها حالهٔ الفرقان لخلوها من الوضوح، والفرقان یحتاج إلی الوضوح، وهو أمر طبیعی فی القرآن الکریم لکون أن بعض آیات القرآن متشابههٔ و بعض آیاته محکمهٔ واضحهٔ فارقهٔ بین الحق والباطل.

فالکتـاب إذن إشـارهٔ إلی المجموع الـذی یحتوی علی المحکم والمتشـابه، والفرقـان إشـارهٔ إلی الآیات الواضـحهٔ التی تفرق بین الحق والباطل فقط، وسنشیر إلی هذه النقطهٔ بعد آیات قلائل فی بحث کیفیهٔ احتواء القرآن الکریم علی آیات محکمهٔ وأخری متشابههٔ.

[جزاء المکذبین فی الدنیا والآخرهٔ]

.. إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُواْ بِآیَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِیدٌ..

إنّ الجزاء علی مخالفـهٔ القوانین التشـریعیهٔ علی وزان مخالفـهٔ القوانین التکوینیهٔ، فمن یتحدی القانون التکوینی الإلهی کقانون الجاذبیهٔ ویلقی بنفسه من شاهق ینطبق علیه القانون التکوینی الجاذبیـهٔ وسـتجذبه الأرض وتتهشم عظامه.. کذلک الأمر بالنسـبهٔ إلی من یتحدی القوانین التشـریعیهٔ فإنّ مصیره إلی العذاب: إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُواْ بِآیَاتِ اللّهِ: بعد هذا الوضوح التبیینی والفرقان، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِیدٌ فی الْدُنیَا وَالآخِرَهِ، فالکفار بالله علی الرغم من أنهم مرفهون فی حیاتهم الدنیا فی أغلب الأحیان إلا أنهم لایعیشون السـعادهٔ الدنیویهٔ، فمن رفض الإسـلام لایجـد راحهٔ فی الدنیا، وتؤید ذلک التقاریر الخبریهٔ والإحصائیات عن معدلات الانتحار وأمراض العصـر وأشـهرها الاکتئاب، ففی تقریر عالمی جاء: إنّ الّـذین ینتحرون فی العالم فی کل عام هم ملیون شـخص!! فمن یقدم علی الانتحار رجل کان أو امرأهٔ یعلن أنه سئمَ الحیاهٔ وضاقت به إلی أبعـد الحـدود، فلا یری له أملاً فی هذه الدنیا أصـلاً، بینما فی بلادنا الإسـلامیهٔ بالرغم من أنّ کثیراً من القوانین الإسلامیهٔ لا تطبق إلا أنّ معدلات الانتحار قلیلهٔ جداً، وذکر نفس التقریر أیضاً: أنّ معدلات الانتحار العالیهٔ توجد فی أکثر بلاد العالم رفاهیهٔ، وهذا مظهر من مظاهر العذاب الشدید فی الدنیا.

.. وَاللّهُ عَزِیزٌ ذُو انتِقَام*

عزیز: العزهٔ تعنی القدرهٔ والعزیز هو الذی له إرادهٔ تتغلب ولا تَغلِبْ

ذوانتقام: ذو قدرهٔ علی مجازاهٔ المسیء لایتهیأ لأحد ردها أو منعه منها.

[الانتقام الإلهی حکمهٔ وضرورهٔ]

هناک سؤال یطرح نفسه وهو: هل الانتقام شیء سیئ؟

الجواب: إن الانتقام سـلبی وإیجابی، فالانتقام بقصد التشـفی سـیء، ولکن الانتقام بقصد مجازاهٔ المسیء بإسائته فهو مقتضی الحکمهٔ، بل هو ضـرورهٔ، فلو أنّ دولـهٔ مقتدرهٔ لا تنتقم من المتجاوزین علی أراضـیها وترکت الحبل علی غاربه لانتشـر الفساد الاجتماعی وغیره فیها، فمن یریـد مخالفـهٔ قوانین المرور له ذلک! ومن یریـد القتل فلیقتل! ومن أراد أن یعتـدی فلیعتـدی!، فمع عـدم وجود الانتقام وإن کان بشکل غرامهٔ أو سجن للمعتدی لا یبقی هناک نظام، ولا یمکن لشخص أن ینام لیلهٔ واحدهٔ باریتاح.

ولـو أنّ الله تعـالی شـرّع القوانین إلا ـ أنه لم یجعـل وراء التشـریع عقوبـهٔ، لم یسـتقر حجر علی حجر، بـل البشـر مع وجود جهنم وتلک التهدیـدات الإلهیـهٔ الشدیـدهٔ لا ـ یعتنون ویفعلون مـا یشـاؤون، فهل کان یسـتقر حجر علی حجر إن لم تکن عقوبـهٔ ولا جهنم ولا جزاء أخروی؟

ولا یخفی أنّ انتقام الله جلّ جلاله لا ینبع من التشـفی کانتقامنا نحن البشر، وإنما ینبع من حکمته، فإن الانتقام من المسیء هو مقتضی الحکمهٔ.

* إِنَّ اللّهَ لاَ یَخْفَی عَلَیْهِ شَیْءٌ فِی الأَرْضِ وَلاَ فِی السَّمَاء * هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الأَرْحَامِ کَیْفَ یَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ *

[من هو الحاکم والمشرع؟]

شهد التاریخ صراعاً طویلاً مستمراً حول الحاکمیة، فهل أنهاً لله عزّ وجلّ أو للبشر؟
فقد حصر القرآن الکریم فی آیات متعددة الحاکمیة فی الله عزّ وجلّ: کقوله تعالی {..إِنِ الْحُکْمُ إِلاَّ لِلّهِ..}، کما تناولت الآیات المبارکات فی بدایة هذه السورة قضیة القیومیة الإلهیة: {..الْحَیُّ الْقَیُّومُ} القیومیة التی تتفرع منها بعثة الأنبیاء وتشریع القوانین وسنّ النظم للبشر.. هاتان الآیتان المبارکتان من سورة آل عمران تتناولان قضیة مهمة تتعلق بمسألة الحاکمیة: وهی: قضیة العلم النافذ والشامل.

[الجاهل لا یحکم]

[الجاهل لا یحکم]

إن الحاکمیة تحتاج الی العلم، بل تتقوم به، والجاهل لایستطیع الحکم، لعدم تمکنه من الحکم علی ماهو مجهول لدیه؟
یقول العلماء ومنهم الشیخ الأعظم الأنصاری(رحمه الله) فی الفرائد: إنّ العقل لایمکن أن یحکم علی مجهول.

توضیح المسألة

عندما یکون الأمر واضحاً لدی العقل یمکنه الحکم علیه، ولکن إذا کان الأمر مجهولاً لدیه فإنه لا یستطیع الحکم علیه: کأن نضع فی صندوق أو مَحْرَزٍ شیئاً ونخاطب العقل: بماذا تحکم علی هذا المجهول؟ فلا محالة یجیب: لا أحکم علی هذا المجهول.
کذا الأمر لو کان (الإنسان) هو الموضوع أمامه حیث إنّه کائن مجهول؛ فکیف یحکم علیه؟! ولذا کتب الدکتور کارل وهو أحد الأطباء المعروفین کتابا عنوانه: الإنسان ذلک المجهول، أشار فیه إلی طبیعة هذا البدن الخاضع للأبحاث العلمیة لعلماء الطبیعة و الطب منذ أکثر من عشرة آلاف عام إلی العصر الراهن، حیث لم یکتشفوا کل خفایاه إلی الآن، لذلک نجد أنّهم فی کل یوم قد یصلون إلی اکتشاف جدید ومعلومات جدیدة.. هذا بالنسبة للبدن فکیف بالروح التی هی أشد مجهولیة للإنسان؟ وکیف بالطبیعة التی یعد وجود الإنسان فیها وجوداً طاریء علیها؟ وکیف بالکون الفسیح؟.

[الإنسان المحاط بالجهل]

ظهر ممّا سبق أنّ الإنسان کائن مجهول تحیط به طبیعة وکون مجهولان، وبینه وبین هذه الطبیعة المجهولة توجد علاقات مجهولة وینتظره مستقبل مجهول.. فمن تحیط به ثلاثة أنواع من المجاهیل:

۱: کون مجهول.

۲: علاقات مجهولة.

۳: مستقبل مجهول.

هل یمکنه أن یحکم؟ وکیف یحکم علی شیء مجهول.. بل إنّ الّذی تکون له الحاکمیة والقیومیة هو الله تعالی وحده لأنه العالم المطلق الّذی لایخفی علیه شیء.. هذا هو الذی ینبغی أن تکون له الحاکمیة، ولعله لذلک ورد فی الآیة المبارکة: {إِنَّ اللّهَ لاَ یَخْفَیَ عَلَیْهِ شَیْءٌ..}، وکما یقول العلماء: کلمة الشیئیة مساوقة للوجود؛ وهذا الکلام تتفرع منه أربع قواعد:

الأولی: کل شیء فهو موجود.

الثانیة: کل موجود فهو شیء.

الثالثة: کل ما لا یکون موجوداً فلیس بشیء.

الرابعة: کل ما لا یکون شیئاً فلیس بموجود.

بالطبع لیس هناک مفهوم أعم من مفهوم الشیء، وهذه من المفاهیم العامة التی تنضوی تحت مظلتها جمیع الوجودات.

[سعة علم الله تعالی]

?إِنَّ اللّهَ لاَ یَخْفَیَ عَلَیْهِ شَیْءٌ: ?أینما یکون هذا الشیء سواء فِی الأَرْضِ أوَ فِی السَّمَاء: هذه السماوات التی لم یتوصل العلم إلی أبعادها بعد: کلها بتفاصیلها محاطة بالعلم الإلهی، فالحاکمیة والقیومیة یجب أن تکون لمثل هذا الإله الذی?: لاَ یَخْفَیَ عَلَیْهِ شَیْءٌ فِی الأَرْضِ وَلاَ فِی السَّمَاء، ?وفی آیة أخری یقول الله تعالی حکایة عن لقمان {یَا بُنَیَّ إِنَّهَا إِن تَکُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَکُن فِی صَخْرَةٍ أَوْ فِی السَّمَاوَاتِ أَوْ فِی الْأَرْضِ یَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ} وخردل لها حبة متناهیة فی الصغر، والإنسان عندما یری هذه الحبة ینبهر بصغرها، وهذه لا تخفی علی الله ویأت بها..

هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الأَرْحَامِ کَیْفَ یَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ *

[صانع الشیء أعرف به]

إنّ هذه الآیة تلامس الوجدان البشری لمسة رقیقة، ففی تلک الظلمات الثلاث، حیث لا یمتد إلیها علم البشر ومنه علم الأبوین ولا تناله قدرتهما.. یمتد علم الله سبحانه إلی تلک الظلمات ذهب أحدهم إلی طبیب متخصص بالعین فقال له کلاما أعجبه: قال له: إن هذه العین التی نری بها الأشیاء کلها ونری بها العالم، الله تعالی صنعها فی ظلمات ثلاث، ظلمة البطن والرحم والمشیمة! وقد اعجب الطبیب بهذه الکلمة إعجاباً شدیداً.

إن العلم الإلهی نافذ وقد أحاط عزّ وجلّ إحاطة علمیة بهذه الطبیعة وذلک من الواضحات، حیث إن صانع جهاز معین یعرف طبیعة ماصنعه، وعندما یُشتری جهاز معین حتی وإن کان صغیراً یعطی معه کتاباً فیه تعلیمات تبیّن طریقة التعامل مع هذا الجهاز، وذلک لأن صانع الجهاز هو الأعرف بجهازه، وهل یمکن ان یأتی أجنبیٌ ویضع قوانین من نفسه له؟

[الخالق هو الحاکم لا غیره]

الله سبحانه هو المصور وهو الخالق وهو الذی أعطانا هذه الهیئة فی عالم الرَحم، لذا فهو الأجدر بأن تکون له الحاکمیة والقیومیة.. خلق وصور فلا یکون معبوداً إلا الله عزّ وجلّ القادر الحکیم الذی یضع الأشیاء فی مواضعها: {لا إله إلا هو العزیز الحکیم}، بخلاف البشر الذی لا یتمکن لجهلة أن یضع الأشیاء فی مواضعها..

کنت یوماً عند أحد الأطباء فأعطانی کتاباً یتناول الداء الخبیث وکیفیة تکوّنها والعوامل المؤثرة فی استفحالها، فأخذت أطالعه، فقلت للطبیب: هذه القضیة المنقولة فی الکتاب- بأن العلماء وصلوا حدیثاً إلی أن شرب المشروب الحار والأطعمة الحارة یورث الداء الخبیث- ذکرها دیننا قبل ألف وأربعمائة عام، ففی الکتب الفقهیة روایات تنهی عن تناول الطعام الحار أو الحاد، وفی بعض تلک الروایات عُبّر عنه بالنار کقول أبی عبد الله الصادق(علیه السلام) لابن مارد": والله یابن مارد ما یطعم الله النار."

فلاحظ من خلال هذه القصة کیف أن الذی صوّر هذا البشر وخلقه یعرف طبیعته ویعرف العوامل المؤثرة علی بدنه وعلی روحه، لذا فهو الجدیر علی أن یُشرِّع ویُقَنِّنُ لهذا البشر لا غیره.

روایات فی المقام

۱- فی الفقیه عن الصادق (علیه السلام): إنّ الله تبارک وتعالی إذا أراد أن یخلق خلقاً جمع کل صورة بینه وبین آدم ثم خلقه علی صورة إحداهن فلا یقولن أحد لولده هذا لا یشبهنی ولا یشبه شیئا من آبائی.

۲- فی الکافی عن الباقر (علیه السلام) قال: إن الله تبارک وتعالی إذا أراد أن یخلق النطفة التی هی مما أخذ علیها المیثاق من صلب آدم أو ما یبدو له فیه ویجعلها فی الرحم، حرّک الرجل للجماع وأوحی إلی الرحم أن افتحی بابک حتی یلج فیک خلقی وقضائی النافذ وقدری، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلی الرحم فتردد فیه أربعین یوما ثم تصیر فیه علقة أربعین یوما ثم تصیر مضغة أربعین یوما ثم تصیر لحما تجری فیه عروق مشتبکة ثم یبعث الله ملکین خلاقین یخلقان فی الأرحام ما یشاء یقتحمان فی بطن المرأة من فم المرأة فیصلان إلی الرحم وفیها الروح القدیمة المنقولة فی أصلاب الرجال وأرحام النساء فینفخان فیها روح الحیاة والبقاء ویشقان له السمع والبصر وجمیع الجوارح وجمیع ما فی البطن بإذن الله تعالی، ثم یوحی الله إلی الملکین اکتبا علیه قضائی وقدری ونافذ أمری واشترطا لی البداء فیما تکتبان، فیقولان یا رب ما نکتب قال فیوحی الله عزّ و جلّ إلیهما أن ارفعا رؤوسکما إلی رأس أمه، فیرفعان رؤوسهما فإذا اللوح یقرع جبهة أمه فینظران فیه فیجدان فی اللوح صورته وزینته وأجله ومیثاقه شقیاً أو سعیداً وجمیع شأنه، قال(علیه السلام): فیملی أحدهما علی صاحبه فیکتبان جمیع ما فی اللوح ویشترطان البداء فیما یکتبان ثم یختمان الکتاب ویجعلانه بین عینیه ثم یقیمانه قائماً فی بطن أمه قال فربما عتا فانقلب ولا یکون ذلک الا فی کل عات أو مارد وإذا بلغ أوان خروج الولد تاما أو غیر تام أوحی الله تعالی إلی الرحم ان افتحی بابک حتی یخرج خلقی إلی أرضی وینفذ فیه أمری فقد بلغ أوان خروجه قال فتفتح الرحم باب الولد فیبعث الله عز وجل إلیه ملکا یقال له زاجر فیزجره زجرة فیفزع منها الولد فینقلب فیصیر رجلاه فوق رأسه ورأسه فی أسفل البطن لیسهل الله علی المرأة وعلی الولد الخروج قال فإذا احتبس زجره الملک زجرة أخری فیفزع منها فیسقط الولد إلی الأرض باکیا فزعا من الزجرة.

۳- عن علی ابن إبراهیم قال حدثنی أبی، عن النضر ابن سوید، عن عبد الله ابن سنان، عن أبی عبد الله (علیه السلام) قال: سألته عن قول الله تبارک وتعالی " الم الله لا- إله إلا- هو الحی القیوم إلی قوله وأنزل الفرقان " قال: الفرقان هو کل أمر محکم، والکتاب هو جملة القرآن الذی یصدقه من کان قبله من الانبیاء.

۴- محمد ابن یعقوب عن علی ابن إبراهیم عن أبیه عن ابن سنان أو عن غیره عمن ذکره قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن القرآن والفرقان، أهما شیئان أو شئ واحد فقال علیه السلام: القرآن جملة الکتاب والفرقان المحکم الواجب العمل به.

۵- العیاشی عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن القرآن والفرقان قال: القرآن جملة الکتاب وأخبار ما یکون، والفرقان المحکم الذی یعمل به وکل محم فهو فرقان.

الآیه

الآیه

{ هُوَ الَّذِیَ أَنزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُّحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِیلِهِ وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا یَذَّکَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ}.

المفردات

الکتاب: القرآن الکریم، وینقسم إلی قسمین محکمات ومتشابهات.

محکمات: جمع محکم، وهُوَ مأخوذ من الإحکام، أی المنع من تسرّب الریب والشک والشبهة إلی آیاته.

أم الكتاب: الأم تعنى الأصل والمأوى والمرجع الذى يرجع إليه فى المشكلة.

متشابهات: يعرض فيها الشك والشبهة.

فى قلوبهم: القلب: إما يقصد به الفكر، أى التواء فى فكره أو الروح، أى اعوجاج روحه.

زيغ: التواء وانحراف واعوجاج.

فيتبعون: الجرى والاتباع العملى.

ابتغاء الفتنة: إيجاد البلبلة لإضلال الناس.

تأويله: التأويل: إزاحة الغموض والإبهام وإرجاع الأمر إلى حقيقته.

الراسخون فى العلم: الثابتون فى العلم أى من له قدم ثابتة فى العلم والمعرفة.

أولوا الألباب: أصحاب العقول الحصيفة الخالية من الشوائب...

الإعراب

اختلف فى إعراب قوله (يقولون) حيث ورد فيها قولان:

١. إنه حال، فعليه الراسخون فى العلم يعلمون التأويل.

٢. إنه خبر، ومبتدأه الراسخون فى العلم، فتكون جملة جديدة تدل على عدم علم الراسخين بالتأويل، وأنّ التأويل مختص بالله عزّ وجلّ.

والأقوى هو القول الأول لمجموعة من القرائن سنذكرها فى آخر بحث المحكم والمتشابه إنشاء الله تعالى.

التفسير

التفسير

التمهيد:

من المباحث المهمة فى القرآن الكريم موضوع المحكم والمتشابه، فهو يشكل تحدياً خارجياً و داخلياً كما سوف يتّضح بإذن الله تعالى.

و سوف نتطرّق فى موضوع المحكم والمتشابه إلى أربعة بحوث.

الأول: ما هو المحكم، وما هو المتشابه؟

الثانى: لماذا وجدت ظاهرة التشابه فى القرآن الكريم؟

الثالث: كيف نتغلب على مشكلة التشابه؟

الرابع: موقف الأطراف المختلفة من هذه الظاهرة.

المبحث الأوّل

ما هو المُحْكَم؟

المحكم هو القسم الأول من الآيات القرآنية، وهو مأخوذ من مادة الإحكام، والإحكام يعنى المنع، وعليه فالآيات المحكمة هى الآيات الواضحة الدلالة التى تمنع تطرق أوتسرب الريب الشك والشبهة إليها، وبعبارة مختصرة المحكم هو ما لاشك ولاشبهة فيه، كبعض الآيات المتعلقة بالعقائد والأخلاق والآداب والقضايا التاريخية، فإن قوله تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } وقوله: { وَلَا تَمْشِ فِى الأَرْضِ

مَرَحًا.. } وقوله: { وَاقْصِدْ فِی مَشْیِکَ.. } وما أشبه ذلک کلها آیات محکمات...

وما هو المُتَشابَه؟

المتشابه هو القسم الثانی من ا?یات القرآنیهٔ، وهو مأخوذ من مادهٔ التشابه، یتحقق إذا تشابه شیئان من جمیع الجهات، کما فی التوأمین – المتشابهین من جمیع الجهات – فإنه إذا دخل أحدهما الغرفهٔ یشکّ بینه وبین أخیه، هل هو عمر أو خالد؟

کذلک بعض الآیات القرآنیهٔ فإن معانیها تحتمل أکثر من احتمال، وکل تلک الاحتمالات متکافئهٔ بالنسبهٔ إلی الآیهٔ، فیشک عندئذ فی أیهما المراد وهو معنی التشابه.. لذلک یتطرق إلیها الشک والغموض والإبهام والتردید والشبههٔ..

والقرآن الکریم –حسب هـذه الآیـهٔ– یحتوی علی القسمین حیث یقول عزّ من قائل: { هُوَ الَّذِیَ أَنزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُّحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ... }

المبحث الثانی

المبحث الثانی

لماذا وجدت ظاهرهٔ التشابه فی القرآن الکریم، ألیس القرآن الکریم جاء لهدایهٔ الأمهٔ، فلماذا وجدت فیه آیات غامضهٔ؟

فی الإجابهٔ عن هذا السؤال نذکر أربعهٔ عوامل علی نحو الاحتمال وراء ظاهرهٔ التشابه:

۱ قصور الألفاظ عن حمل المعانی الشامخهٔ

۱ قصور الألفاظ عن حمل المعانی الشامخهٔ

إن ألفاظ اللّغهٔ العربیهٔ التی نزل بها القرآن سواء کان واضعها یعرب بن قحطان أو غیره إنما وضعت لرفع الحاجات الیومیّهٔ داخل النطاق المادّی وإطار عالم الطبیعـهٔ، ولا یمکن لها بموجب هـذه الوظیفـهٔ أن تحکی المفاهیم الشامخهٔ لعالم ماوراء الطبیعهٔ، لکونها قاصـرهٔ عن ذلک، ومثال قصورها قول الشاعر مخاطباً الله عزّ وجلّ:

وإن قمیصاً خیط من نسج تسعهٍ وعشرین حرفاً عن معانیک قاصرُ

والسؤال هنا: هل إنّ ثوباً مکوناً من تسـعهٔ وعشـرینَ حرفاً یمکن له أن یعکس الحقائق الشامخـهٔ والمعانی اللّامحـدودهٔ والقضایا الغیبیّهٔ؟ وکیف یمکن لهذه الألفاظ ذلک؟ لکی یتضح المطلب نمثّل ببعض الأمثلهٔ:

۱/ الطفل ولذهٔ العلم

إذا کان هناک طفل عمره سبعهٔ أعوام یرید أبوه أن یرسله للتعلّم، یتکلم معه حول فوائد هذا الذهاب فیقول له:

لو ذهبت إلی المدرسـهٔ وتعلّمت سـتنتفع من علمک فی المسـتقبل، فإن العلم جمیل لذیـذ.. وفی المسـتقبل سـتفهم معنی العلم ولذته..

وقول الأـب لولـده هـذا الکلام سیوقعه فی ورطـهٔ: فهو إمّا أن لا یشـرح له الحقیقه فیضـیع فی معنی الکلام، وإمّا أن یشـرح له الحقیقهٔ ولکنّها فوق إدراکه، لأنه لامحالهٔ سیخاطب أباه قائلًا: ماذا تعنی بقولک لذّهٔ العلم؟

وحيث إنّ الأب يريـد بيان معنى لـذة العلم لولـده، فإنه سيضـطر إلى اسـتخدام الألفاظ التى يـدركها الطفل، كأن يقول له مثلًا: إنّ لذة العلم تَشبَهُ لذة الحلوى، والحال أنها غير ذلك، وهذا الوصف لا يُعبّر عن الواقع، فإِنّ العلماء هم الذين يفهمون لذّة العلم..

۲/ الأعمى وإدراك معنى الألوان

إن الأـكمه – الأعمى منـذ ولادته – لايـدرك معنى الألوان، لأنه لم يرها فى حياته، فلو شـرحوا له معنى الألوان هل ينفعه ذلك؟ كلّا، لأـنّ ذلـك فـوق إدراكه وتعقّله فلاـ يفهم المعنى، وإذا أريـد تقريب المراد له بـالوصف فسـوف يكون التقريب بأشـياء – ألفـاظ – لا تعكس تمام الحقيقة لقصورها الذاتى...

۳/ معرفة حقيقة الآخرة

إن الذين يرون الأموات فى عالم الرؤيا يطلبون منهم أن يشـرحوا لهم الآخرة، فيخاطبهم الأموات قائلين: إنكم لا تفهمون ولا يمكن أن نشرح لكم، هذا غيب لكم.

والقرآن الكريم عندما يريد أن يشرح الجنّة والآخرة يقول فيها: { مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ.. } فهذا مَثَلٌ، حتّى وإن كان حقيقة، إلّا أنّ اللّفظ لا يعكس تمام الحقيقة، فالجنّة التى وعد المتّقون لا يمكن أن نفهم معناها حقيقة إلّا إذا ذهبنا إليها إنشاء الله تعالى.

۴/ سؤال الطفل عن يد الله جلّ وعلا

نقـل لى أحـد الأخوة، أن ولـده البالغ من العمر سـبع سـنوات سأله مرة: هل أن لله يـداً؟ قال فتحيرت بماذا أجيبه، فإن قلت له يـد – قد يتصور المعنى الحقيقى لليـد – وهو كـذب، وإنْ قلت لاـ يـد له، قـد تنطبع فى ذهنه صورة إله معوّق!! فالإلـه الـذى لاـ يـد له معوّق– حسب نظرته الطفولية – فى هذا الموقف ماذا يصنع ا?نسان؟

قـال: فخطر ببالى قوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. } فقلت له: الله مثل النور، فاقتنع، ولكن يبقى السؤال التالى هل هـذا اللّفظ يعبّر عن تمام الحقيقة؟

فالله نور السّـماوات ولكن نوره ليس كالنور الذى نشاهده، بل هذا صرف تقريب، فكما أن النور الذى نشاهده ظاهر بذاته مظهر لغيره، فالله ظاهر بذاته مظهر لغيره...

۵/ رؤية الله تعالى

إن البصـير فى مصـطلحنا يعنى أن للفرد جارحـة العين، فإذا كان كـذلك، فهل نقول بأنّ: الله بصـير؟ إن لم نقل ذلك نكون قـد فرّطنا بالحقيقة.

يقول أحـد المعمّرين: عنـدما كنت طفلًا، كنت أصوم فى جوّ حار جـداً فيغلب علىَّ العطش فلا أتمكن من شـرب الماء بالعلن حتى لو كنت بمفردى، لأننى قد سـمعت من آبائى بأنّ الله يرانا، لذا كنت أذهب إلى مكان ما وأجعل شـيئاً على رأسـى وأشـرب الماء حتّى لا يرانى ربّى حسب عقليّتى الطفوليّة!!.

فلاحظ قصور اللفظ عن إیصال المعنی الشامخ لمفهوم أن الله بصیر — أی عالم محیط بعباده - کیف أثّر علی سلوک المعمر فی أیام طفولته، والسبب یرجع إلی أنّ لفظ البصیر فی مصطلحنا من له جارحة العین!!

۶/ لا جبر و لا تفویض

إذا أردنـا أن نعبّر عن فکرة دقیقـة مثـل لاـ جبر و لاـ تفویض فی أفعـال العباد - وهی من الأفکار الّتی حارت فیها عقول المفکّرین منذ ألوف الأعوام، ولم یتوصـلوا فیها إلی حل، فقط أهل البیت ?هم الـذین حلّوا هـذه المعضـلة الفکریّـة بفکرة: الأمر بین الأمرین - کیف نعبر عنها؟
الله عزّ وجلّ عبّر عنهـا فی کتـابه الکریم بقوله تعـالی: {..وَمَـا رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَلَکِنَّ اللّهَ رَمَی.. } أی رمیت ولم ترم، أنت رمیت، والله رمی، فیأتی المجبّر ویقول: الله هو الذی رمی اعتماداً علی هذه الآیة، بینما هذه الآیة تشـرح عمق عقیدة الأمر بین الأمرین، والسؤال هنا: کیف یمکن التعبیر عن هذین الأمرین والألفاظ قاصرة؟
فلقصور الألفاظ وعمق معانیها أو غیبیَّتها تتولّد ظاهرة التشابه فی بعض الآیات.

۲ اللغة العربیة والاعتبارات البلاغیّة

۲ اللغة العربیة والاعتبارات البلاغیّة

البشـر فی لغته الدارجة یُکثر من اسـتخدام المجاز والکنایة والاسـتعارة وما أشبه ذلک، والقرآن الکریم الذی هو قمّة فی الأدب العربی یحتوی علی کنایات واسـتعارات ومجازات، ولکن یأتی من لا ذوق له أو مَن هو مغرض وجامد فیأخذ هذه الفنون الأدبیة ویحوّلها إلی منحی باطل، وستذکر أمثلةً لذلک.

أمثلة من القرآن

۱ قال الله تعالی: { یَوْمَ یُکْشَفُ عَن سَاقٍ.. } و للساق معنیان:
حقیقی: وهو الکشف عن السّاق المادیة، ومجازی: وهو أنّ الأمر جدیٌ وشدید.
فعنـدما یقـال: وقامت الحرب علی ساق، یفهم من له ذوق أدبی أن المقصود لیس هو المعنی المادی کما یفیـد قولنا: شَـمَّرَ عن ذراعیه وساقیه أنّه أظهر ذراعیه وساقیه، بل المقصود أن القضـیّة تحوّلت إلی قضـیّة جدیّـة کالحرب، إلاّ أنّه یأتی من لیس له ذوق أدبی أمثال ابن تیمیّـة ویقول: إنّ الله له سـاق ویوم القیامـة یکشف عن سـاقه ویضـعها فی جهنّم ویقول لها هل إمتلأتِ وتقول قط قط، أی کاف!! علی الرغم من وضوح الأمر فی أنّه اعتبار بلاغی.
ولیتضح الأمر نذکر هذا المثال:
شخص مـا یسأل: من هو (هامان)؟ فیقال له: عامل بناء! لأنّ فرعون قال له: {.. یَا هَامَانُ ابْنِ لِی صَـرْحًا.. }!! هـذا المجیب لا ذوق أدبی له أصلاً.
۲ قال الله تعالی: {.. بَلْ یَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ.. }، یقول الزمخشـری فی الکشّاف: ولو أعطی الأقطع إلی منکبیه عطاءً جزیلاً لقالوا: ما أبسـط

یده بالنوال مع أنه لا ید له، لأنّ المقصود بالید الکرم، فلو قلت: فلان یده جافّة هل یعنی ذلک أنه لا رطوبة علیها؟
۳ الله تعالی یقول: { وَلاَ تَجْعَلْ یَدَکَ مَغْلُولَةً إِلَی عُنُقِکَ وَلاَ تَبْسُطْهَا کُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } والسؤال هنا هو: هل أن معنی (الید المغلولة) هو الید المکسورة، و (ولا تبسطها کلّ البسط) هو کمن یفتح یدیه؟ أم أنّ المراد لا تنفق زائداً بحیث تقعد ملوماً محسوراً ولا تبخل، بل (یداه مبسوطتان) یعنی الله کریم، ولکن یأتی أمثال ابن تیمیّة ویقول: الله یداه مفتوحتان!!.
۴ { وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } فما معنی ناظرة؟
البعض ممن لاذوق أدبی له ولا معرفة یقول: إنّهم یرون الله ویظهر لهم کالشمس أو القمر، والحال إنّ المراد: کمن یقول: أنا عینی علیک ونظری علیک، فعندما یأتی فقیر إلی باب الدار ویقول: عینی بعد الله علیک ما معناه؟ هل معناه إنّنی أنظر إلیک أو معناه عطفک ولطفک ورحمتک؟ ف { وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } معناها تنتظر رحمة ربّها لعدم وجود أمل آخر، فهذه الاعتبارات البلاغیّة تتدخّل فی الکلام، ومن لا ذوق له ولا معرفة له بالأدب یقول: إنّ لله وجه.
۵ {..نَسُواْ اللّهَ فَنَسِیَهُمْ.. }، هل المراد منها أن الله ینسی؟
کلا، ولکن من لا ذوق له ولا معرفة یذهب إلی أنّ الله ینسی بدلیل الآیة، والحال إنّ معناها أمراً آخراً یظهر من ما نذکره فی المثال اللاحق.
۶ {..فَمَنِ اعْتَدَی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَیْهِ.. } هل هذا اعتداء أو رد إعتداء؟
یوجد فی کتب اللّغة والبلاغة کالمطوّل والمختصر وجواهر البلاغة بابٌ یسمی (المشاکلة) یُذکَر فیه أنّ {.. فَاعْتَدُواْ عَلَیْهِ.. } بمعنی ردّ الإعتداء، یقول ا?صمعی وهو من الشعراء:

ألا لا یجهلنّ أحداً علینا فنجهل فوق جهل الجاهلینا

أی: إنّنا نردّه، کذلک {..نَسُواْ اللّهَ فَنَسِیَهُمْ.. } فهو من باب المشاکلة ولیس بمعنی أنَّ الله ینسی.
۷ {..تَعْلَمُ مَا فِی نَفْسِی وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِی نَفْسِکَ.. }، هذا القول هو أیضاً من باب المشاکلة البلاغیة، لا أنّ الله تعالی له نفس!.
إذاً الاعتبارات البلاغیّة قد تکون وراء وجود بعض الآیات المتشابهة.

۳ الاختبار الإلهی فی التکوین والتشریع

۳ الاختبار الإلهی فی التکوین والتشریع

إن من مفردات الاختبار الإلهی وجود ظاهرة التشابه فی القرآن الکریم، حیث إنّ لله تعالی کتابین:
۱: الکتاب التدوینی: وهو القرآن الکریم.
۲: الکتاب التکوینی: وهو عبارة عن هذا الکون الذی خلقه الله سبحانه وتعالی.. وفی کلا الکتابین توجد نقاط غامضة جُعلت للاختبار والامتحان.. منها مثلاً فی النظام التکوینی المرض، فإن الإنسان یمرض ولا یفهم لماذا أبتلی بهذا المرض، فعلی سبیل المثال بعض الآباء یولد لهم أولاد معوّقون یتعذّبون معهم إلی أن یموتوا، فتسأل الأم التی یقع علیها الجزء الأکبر من العذاب أو الأب لماذا جعل الله هذا الطفل معوّقاً، ولماذا أعطانی الله هکذا طفل؟
نقل لی شخص أنه رأی فی إحدی البلاد الأجنبیّة من کَفَرَ بوجود الله تعالی، قال قلت له: کیف تکفر بالله وهذه الشواهد کلّها تدلّ

علیه؟ فقال ذلک الشخص: لو کان الله موجوداً لما قامت الحرب العالمیّهٔ الثانیهٔ!! ویبدوا أنّ ذلک الشخص أصابته ویلات الحرب العالمیّهٔ الثانیهٔ..

فهذه نقاط غامضهٔ فی النظام التکوینی، وهی تشکّل اختباراً إلهیّاً صعباً للبشر، وهو أمر طبیعی، إذ لا یخفی أنّ الشخص حینما یذهب إلی قاعهٔ الاختبار فإنه لا یختبر فقط بالأسئلهٔ السهلهٔ، وإنما یختبر بالأسئلهٔ المعقّدهٔ أیضاً لیظهر واقعه ومستواه العلمی الحقیقی، وذلک لا یکون فی الأسئلهٔ السهلهٔ التی یستطیع الجمیع الإجابهٔ علیها.. السؤال المهم هنا هو: من یستطیع حل هذا الغموض؟

إن الغموض والتعقید فی التکوین والتشریع لا ـ یحله إلا الفرد المؤمن، وذلک بالعلم والإیمان، أمّا الذی لا یؤمن والشخصیّات القلقهٔ فهم یسقطون فی هذا الإمتحان بالشک والجهل والتردید، والآیهٔ الکریمهٔ فیها کما یبدوا إیمائهٔ لطیفهٔ إلی: إنّما یمکن للفرد أن یحلّ المشکلات والنقاط الغامضهٔ بالعلم والإیمان، وفی نهایهٔ الآیهٔ الکریمهٔ یقول الله عزّ وجلّ: {.. وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا.. }، فالعلم من جانب والإیمان من جانب آخر، العلم والإیمان کما یحلّان المشکلات الغامضهٔ فی النظام التکوینی کذلک یحلّان النقاط الغامضهٔ فی النظام التدوینی.

[مبحث جانبی]البشر وَصُنعُ الویلات

لا یخفی إنّ الإشکال الذی ذکره الرجل الکافر بالله غیر وارد?، ن الحرب العالمیّهٔ الثانیهٔ لم یصنعها الله سبحانه وتعالی وإنّما صنعها ا?نسان بجهله، وکذلک الطفل المعوّق، حیث یؤکّد العلم بأنّ التعویق فی کثیر من الأحیان ینشأ من خطأ یرتکبه الوالدان، ولو فرض أنّ العلم لم یتمکّن من حل بعض النقاط الغامضهٔ إلّا أنّ القاعدهٔ الإیمانیّهٔ الّتی یرتکز علیها المؤمن والأرضیّهٔ الصلبهٔ له کفیلهٔ بحل جمیع المشکلات، وسنعود إلی هذه النقطهٔ فی بحث التأویل والقاعدهٔ الإیمانیهٔ ونذکر کیف أنّ الإیمان یحلّ المشکلات والمعضلات الفکریّهٔ.

إذن وجود ظاهرهٔ التشابه تمثّل مفردهٔ من مفردات الاختبار الإلهی.

۴ الارتباط بالقادهٔ الإلهیّین

۴ الارتباط بالقادهٔ الإلهیّین

إنّ وجود ظاهرهٔ التشابه تعتبر عاملًا من عوامل ربط المجتمع بالقادهٔ الإلهیین.

هل یکفی کتاب الله؟

هنالک مقولهٔ یردّدها بعض أشباه المفکّرین بأنّه یکفینا کتاب الله، ولا نحتاج بعد القرآن إلی شیء آخر، وهی لست جدیدهٔ، بل قدیمهٔ فی تاریخنا کما قالها ذلک الرجل فی حیاهٔ النبی الأعظمصلی الله علیه و اله، مخاطباً بها النبی وجهاً لوجه: حسبنا کتاب الله، وروایتها مذکورهٔ فی البخاری بنحوین:

الأول: ذُکرت فیه علی نحو الإهمال، حیث ذکر تعبیر: «فقال بعضهم»، وکما یبدوا أنّه یرید أن یتخفی علی ماهیّهٔ هذا القائل، ومن أراد أن یراجع هویهٔ القائل فیراجع کتاب البخاری فی باب النبی ووفاته.

الثانی: کشف عن هویّهٔ القائل لمقولهٔ: حسبنا کتاب الله، ومن أراد المراجعهٔ فلیراجع کتاب البخاری أیضاً فی باب قول المریض قوموا عنی.

فحاولوا فى حياة النبى الأعظمصلى الله عليه و اله وإلى يومنا هذا إلغاء دور القادة الإلهيين، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، فإن القرآن الذى قالوا: إنه يكفينا، فيه نقاط غامظة وآيات متشابهة، فالمخالفون عندما كانوا يصطدمون بالتشابه فى هذه الآيات، فإن تمكنوا أن يلتفوا عليها -إلتفوا كما هو دينهم-وإن لم يتمكنوا من الإلتفاف أحيانا ولم يكن لهم مجال للهرب عندها كانوا يضطرون لكشف تلك الإبهامات والغموض إلى أن يرجعوا إلى القادة الإلهيين وأن يعترفوا بقيادتهم..

ومن ذلك يظهر أن قضية الربط بالقادة الإلهيين قضية مهمة جدا، ولكى يتضح الأمر نذكر المثال التالى:

عندما تؤلف الهيئة الإدارية للجامعة كتاباً للتلاميذ فإنها تتعمد فى جعل نقاط غامضة فى المنهج كيلا يعتمد الطلّاب على أنفسهم ويستغنوا عن الدرس والأستاذ فيخسروا قيادتهم الفكرية والعملية والأخلاقية، فهذه النقاط تدفع المجتمع دائما للبحث عن هؤلاء وحلّ تلك النقاط عبرهم.

الحكام وعدم فهم القرآن

اشارة

جاء فى كتاب الغدير تحت عنوان(نوادر الأثر): مائة قضية تورط فيها الذين جاءوا إلى الحكم بعد النبى الأعظمصلى الله عليه و اله منها:

١- الرجوع إلى أمير المؤمنين؟

أتى وفد من النصارى وطرح مشكلة فكرية على المسلمين وخليفتهم، ولكن لا- جواب!، فاظطروا إلى الرجوع إلى الإمام على عليه السلام

٢- الأول لا يعلم معنى الكلالة

سُئِل الأول عن معنى الكلالة فى قوله تعالى: {.. قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ }؟ فلم يكن يملك جوابا واضطر أن يقول برأيه، فقال: أقول برأيى فى ذلك فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن الشيطان ومن نفسى!! وقال شيئاً، ثم جاء الثانى وقال: إنى لأستحيى من الله تعالى أن أرد على ما قاله أبو بكر فأمضاه!!..

٣- الثانى يضرب ويسجن من يسأله

سُئِل الثانى عن قوله تعالى {.. فالجاريات يسرا} ما معنى هذه الآية؟ فيغضب ويقوم إليه ويشجه بدرة كانت عنده ثم يسجنه ثم يبعده ويقول: لماذا تتكلفون فى كتاب الله!.

٤- انكشاف بعض مقامات الأئمة؟

لو كان كتاب الله واضحا ما كانت تُكشف الحقيقة، وما كان ينكشف- تمام الانكشاف- بعض مقامات أهل البيت، ^فكانت هذه الأحداث لكشف بعض مقامهم وعلو شأنهم وإظهار قربهم من كتاب الله عزّ وجلّ، فإنهم ?عِدل القرآن كما قال رسول اللهصلى الله عليه و اله >: على مع القرآن والقرآن مع على <و >: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا.<

۵- الحجّاج والفهم الخاطئ للقرآن

أ- عن شهر بن آشوب قال: قال لى الحجّاج: يا شهر آية فى كتاب الله قد أعيتنى لم أجد لها تفسيرا، فقلت: أيها الأمير أيةُ آية هى؟ فقال: قوله تعال: { وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} ما معناها؟

أى هل ينطبق على الواقع الخارجى بأنّ جميع أهل الكتاب سيؤمنون بالنبى الأعظمصلى الله عليه و اله قبل موتهم؟ مع أن الأمر ليس كذلك فإن أكثرهم لا يؤمنون، فما معنى الآية؟- ثم قال: والله إنى لآمر باليهودى والنصرانى فتضرب عنقه ثم أرمقه بعينى فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد وتسكن حركته، فكيف تفسر هذه الآية؟

فقلت: أصلح الله الأمير ليست على ما تأولت - - قال: كيف هو؟ قلت إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودى ولا غيره إلا آمن به قبل موته، وعند ذلك يؤمن جميع أهل الكتاب بخاتم الأنبياء: قال: ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به؟ فقال: حدثنى به محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ?فقال الحجّاج: جئت والله بها من عين صافية.

ب- تورط الحجّاج فى مشكلة القدر والجبر الإلهى، المشكلة التى حيّرت عقول المفكرين وأغلب المسلمين فى العالم من عصر الرسالة حتى يومنا هذا، حيث لم يرجع كثير من المسلمين إلى الثقل الثانى الذى عيّنه الرسول الأعظمصلى الله عليه و اله، فاعتقدوا بالجبر للآيات المتشابهة الدالة على الجبر، وهذا حال كل من يريد أن يتعامل تعاملاً مباشراً مع القرآن الكريم ويستغنى عن أهل البيت، ^فكانت نتيجة عملهم أنّهم انتهوا إلى أن الله أجبر أبا لهب على الكفر، لأنّه لم يكن مختاراً أصلاً ومع ذلك فى يوم القيامة الله يلقيه فى نار جهنّم!! وكذلك أبو جهل أجبره الله على الضلال وسيكبّه على وجهه فى النار!! وفى زمننا الحاضر ملايين المسلمين يقولون بذلك وسنتطرق إلى مبحث العدل الإلهى ورؤية المسلمين فيه إن شاء الله تعالى وهى رؤية خارج دائرة أهل البيت.?

وقد كتب الحجّاج إلى أربعة أفراد كيف تحلّون مشكلة الجبر؟

فأتاه الجواب من الأول حلّ فيه المشكلة بطريقة ما، وكذا جواب الثانى حيث أتاه بنحو آخر، ومن الثالث بنحو ثالث، ومن الرابع بطريقة أخرى، فتعجب الحجّاج وسأل كل واحد منهم: من أين جئتم بهذه الحلول؟

فقال كل واحد منهم: أخذت هذا الحل من على بن أبى طالب.?

فهذه النقاط الغامضة تفرض حاجة المجتمع والأمة للرجوع إلى أهل البيت(?القادة الإلهيين).

المبحث الثالث

كيف نتغلّب على مشكلة التشابه؟

هناك حلّان أشار القرآن الكريم إليهما:

الأوّل: الرجوع إلى القادة الإلهيين.

الثانى: الرجوع إلى الآيات المحكمة.

ولابد أن نضع هذين الحلين جنباً إلى جنب:

أما الطريق الأوّل: ففى آية أخرى عندما يخاطب النبى الأعظمصلى الله عليه و اله: {.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.. } فالنبيصلى الله عليه و اله مبيّن وأهل بيته ?مبينون.

وأما الطريق الثانى: فيشير إليه قوله عزّ من قائل: {.. هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ.. } والأم هى الأصل والمرجع الذى يرجع إليه فى المشكلة، فمن أراد أن يحل الآيات المتشابهات ويفهمها، عليه أن يرجع إلى القادة الإلهيين أولاً، وإلى الآيات المحكمة ثانياً، وهذا ممكن ضمن حدود.

مثلاً استند تيار القومية فى البلاد العربية إلى قوله تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ.. } وقد تكون الآية مجملة أو متشابهة، ولكن

عندما نضعها إلى جنب قوله تعالى: {.. إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ } نصل إلى أنَّ القرآن الكريم ليس قومياً، بل يدعوا إلى العولمة ولكن بشكلها الصحيح، فالقرآن والدين عالميان.

المبحث الثالث الرحمن على العرش استوى

ما المراد من الاستواء فى قوله تعال: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}؟

الاستواء له معنيان:

الأول: كما يستوى الملك على سريره.

الثانى: الهيمنة والسيطرة.

فأى المعنيين هو المراد؟

يجب أن نرجع إلى آية أخرى محكمة وهى قوله تعالى: {.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} عندما نصل إلى نتيجة عدم التشابه بين الله وبين مخلوقاته، فلا يمكن أن يكون المعنى الأوّل هو المراد، فالآية المتشابهة نضعها إلى جنب آية محكمة فيرتفع عنها التشابه ولو إلى حدٍ ما.

وهنا ينبغى الأخذ بملاحظة هى: إن إرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمة إنّما كان بفضل أهل البيت.^

والخلاصة: بهذين الطريقين يتحوّل القرآن كله إلى محكم، فلا تبقى آية متشابهة فيها إبهام فى القرآن الكريم، بعد أن نرجعها إلى الآيات المحكمة وبعد الرجوع إلى القادة الإلهيين.?

المبحث الرابع

على ضوء هذه الآية الكريمة يظهر لنا موقفان:

الأوّل: موقف الذين فى قلوبهم زيغ.

الثانى: موقف الراسخين فى العلم.

وقبل أن نخوض فى بحث كلٍّ واحد من الموقفين لابد أن نطرح سؤالا وهو: ما هو الموقف وما هو المنطلق الذى ننطلق منه فى التعامل مع القرآن الكريم؟ ويمكن أن نطرح السؤال بشكل أعم وهو: ما هو الموقف الذى ننطلق منه فى التعامل مع حقائق الدين بشكل عام؟. الانطلاق من القرآن أو من الأفكار والشهوات؟

۱- قد ينطلق الفرد من القرآن والدين ذاتهما.

۲- قد ينطلق الفرد من أفكاره المتبناة.

۳- قد ينطلق الفرد من أهوائه وشهواته.

المبحث الرابع بين يدى القرآن الكريم

المبحث الرابع بين يدى القرآن الكريم

إن الموقف الصحيح هو الانطلاق من الدين والقرآن ذاتهما، إذ يجب على الفرد أن يكون تلميذا تجاه القرآن: يتتلمذ على يديه، ويرى ماذا يقول الدين، فيعرف ما هو عنوان ديننا، إذ أنّ للعنوان أهميّة فائقة، فعندما تأخذون كتاباً فإنكم تقرؤونه من عنوانه، فإن العنوان يمثّل مرآة تعكس ما فى الكتاب بشكل إجمالى أو تعكس أهم ما فى الكتاب، وكذلك إذا كتبتم كتاباً كيف تضعون عنوانه؟

مؤکد أنکم تحاولون وضع عنوان یکون مرآهٔ لما فی الکتاب أو أن یحتوی علی أهم موضوع فیه، وهذا بیّن فی الواقع الخارجی.

الإسلام عنوان دیننا

سؤال یطرح وهو: ما هو عنوان الدین؟

الجواب: عنوانه هو الإسلام، وهو یعنی التسلیم، فموقف المؤمن تجاه ما یقوله الدین والقرآن هو التسلیم، فیحاول أن یکون مسلما تجاهه، هذا هو الموقف الصحیح.

فمن خطبهٔ لأمیر المؤمنین ?حول الإمام الحجهٔ- عجل الله تعالی فرجه- قال فیها>: یعطف الهوی علی الهدی حیث عطفوا الهدی علی الهوی، <وعلیه فإن المنطلق هو الهدی، هکذا ینبغی أن یکون المؤمن والمسلم، هذا هو الموقف الأوّل.

الانطلاق من الأفکار المتبناهٔ أو الأهواء والشهوات

أما الموقف الثانی والثالث فهو أن ینطلق الفرد من أفکاره فی التعامل مع القرآن الکریم وحقائق الدین، فلو کانت له نظریهٔ معینهٔ یرید أن یثبتها فإنه لا- یری ماذا یقول القرآن والدین! وإنما یحاول أن یُحمِّل نظریته علیهما، ویجد فی الدین نقطهٔ تبرر له هذه الأهواء والشهوات.

السبب: الانحراف الفکری والروحی

لا یخفی أن السبب فی هکذا نوع من التعامل هو الانحراف الفکری والروحی، قال تعالی: {.. فَأَمَّا الَّذِینَ فی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ..} فهؤلاء لهم أغراض معینهٔ ولهم أفکار خفیهٔ، فهل یمکن أن یجدوا فی الآیات المحکمهٔ الواضحهٔ ما یبرر لهم هذه الأفکار والشهوات؟ کلا: لأن الآیات المحکمهٔ واضحهٔ فیبحثون عن الآیات المتشابهۀ ویحاولون أن یُحمِّلوا أفکارهم وشهواتهم علی الدین عبر الآیات المتشابهۀ، فمن یُحمِّل روح الشیوعیۀ لا- یحاول أن یری ماذا یقول القرآن فی المنهج الاقتصادی، بل یبحث فی القرآن الکریم حتی یجد آیۀ متشابهۀ تبرر فکرته، وقد استدل الشیوعیون علی الشیوعیۀ بقوله تعالی: { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} مدّعین أن الآیۀ تعنی أنّ الأرض مشاعۀ لجمیع البشر!!

والاشتراکیون بحثوا وبحثوا حتی وجدوا آیۀ متشابهۀ- فیما یتصورون- استدلوا بها علی الإشتراکیۀ وتلک الآیۀ هی: {.. قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ..} وادّعوا أنها تدل علی المذهب الاشتراکی، وهذا حال کل من فی قلبه مرض.

بالطبع إنّ المقصود بالقلب إما الفکر فیکون المراد فیه التواء، أو روحه فیها إعوجاج، حیث یحاول أن یجد آیۀ متشابهۀ تدعم موقفه ویکتفی بها.

النظرۀ التجزیئیۀ للقرآن

من الواضح أن النظرۀ التجزیئیۀ للقرآن الکریم موقف خاطئ یسبب انقلاب المعنی، فلابد أن تکون النظرۀ إلی القرآن الکریم شاملۀ، وحتی کلمۀ التوحید هی شعار الإیمان >: لا إله إلا الله، <لو نُظر إلیها بنظرۀ تجزیئیۀ تتحول إلی کلمۀ کفر، فالمتدبر ینظر إلی مجموع القرآن من الآیات المحکمۀ، ویحاول أن یفسر الآیات المتشابهۀ بالآیات المحکمۀ بخلاف من فی قلبهم مرض،{.. فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ.. }، وهم علی طائفتین:

الأولی: هدفهم: [ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ]، حیث یریدون الفتنۀ لإضلال المجتمع وإغوائه بخلق البلبۀ.

الثانية: هدفهم إظهار الحق لكنهم أخطأوا الطريق: {.. وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ.. }
ولا بأس أن نتوقف وقفه عاجلة عند موضوع التأويل.

التأويل

ما هو معنى التأويل؟
إنّ المراد من التأويل هو تفسير الكلمة أو الموقف أو الواقعة المبهمة، وبعبارة أخرى التأويل عملية إزالة الإبهام عن الكلمة المبهمة أو الموقف المشكوك أو الواقعة المريبة وإرجاعها إلى حقيقتها.

أمثلة من القرآن

١- رجل يركب سفينة ثم يأخذ معولاً ويخرقها أو ينشر أرضيتها بمنشار، مثل هذا الموقف المريب، يمكن تفسيره بتفسيرين:
الأول: ما خطر على ذهن البعض بأن الرجل- وهو الخضر- ?رجل مفسد يريد أن يغرق الذين هم فی السفينة!! وظاهر الحال يوحی بأن هذا الرجل يهدف شراً.
الثانی: إرجاع الأمر الی الحقيقة، فعندما يسأل: لماذا تقوم بهذا العمل؟
فإنّه يُرجع هذا الموقف المبهم الی حقيقته و واقعه فيقول:
ملك جبار يأخذ كل سفينة صالحة عصباً وهذه السفينة هی لمساكين يعملون فی البحر فأردت أن أعيبها حتی لا يأخذها الملك الظالم.
هذا التوجيه والتفسير والإرجاع يقال له التأويل، ولذلك قال الخضر لنبی الله موسی: {.. ?ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا.. }.
٢- ملك ينام ويری فی عالم الرؤيا سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات هزيلة، فما معنی هذه الرؤيا؟
الرؤيا عادة تكون لها لغة رمزية لا حقيقية، فإن المنامات عادة لا تظهر بصورة صريحة وإنما تظهر بأسلوب رمزی، هذه الرؤيا رؤيا مشكوكة ومريبة ومبهمة، تطرح هذه الرؤيا علی نبی الله يوسف ?فيؤولها بإرجاعها إلی حقيقتها وواقعها.

الخبير هو المخول بالتأويل

لا- يمكن لأی أحد أن يقوم بالتأويل وإزاحة الغموض إلا إذا كانت له قابليّات وكفاءات معيّنة، ففی كلِّ عِلمٍ وكلِّ فنّ تكون الحاجة فيه إلی من يفسر المبهم ويرجع الأمر إلی واقعه.
فمثلا- كتب القانون لا يمكن للشخص العادی أن يتعامل معها مباشرة، لأنه كتاب متخصص فی فرع من فروع العلم يحتاج إلی خبير يفسّر نصوصه المبهمة للجاهل بها ويرجعها إلی واقعها، وكذلك كتاب النحو، وكتاب المنطق.. الخ.
أما القرآن الكريم الذی هو كتاب الله سبحانه وتعالی فهو علی قسمين:
١- الآيات المحكمة: ومنها قوله: {.. إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ..} فإنّ كلّ شخص يتمكن أن يتعامل معها.
٢- الآيات الغامضة والمتشابهة والمجملة: فلا يحق لكلّ أحد أن يتلوها ثم يدعی أنه فهم المراد منها، حتی وإن لم تكن الفتنة غرضه من ذلك التفسير كما سيأتی.
والأفراد بالنسبة إلی الآيات المتشابهة علی قسمين:
١- من يريد الفتنة كأهل الكتاب.

۲– من لا یرید الفتنة لکنّه أخطأ الطریق کبعض الخوارج.

أهل الکتاب وإرادة الفتنة

۱: من یرید الفتنة: کأهل الکتاب الذی خططوا: { ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ } فجاءوا النبی الأعظمصلی الله علیه و اله وأرادوا خلق فتنة اجتماعیة من کلمة فی القرآن الکریم فقالوا: ألا یقول القرآن إن المسیح روح الله {.. وَرُوحٌ مِّنْهُ.. } فقال النبی الأعظمصلی الله علیه و اله: نعم.

قالوا: یکفینا أن المسیح روح الله فهو ابنه!!

القرآن الکریم یحذرنا من هؤلاء وأمثالهم لأنهم مغرضون یریدون الفتنة والفساد والتلبس علی المجتمع، ومن المعلوم أن الآیة لا تدل علی مدّعاهم، فلو قیل: الکعبة بیت الله، فهل المعنی: أنها البیت الذی یسکنه الله!!

فی اللغة العربیّة تکفی فی الإضافة أدنی مناسبة، فالمقصود من روح الله أنه ?روح منسوبة إلی الله تعالی کبیت الله الذی له نوع إختصاص بالله عزّ وجلّ ویعبّر عن هذه الإضافة: بأنها إضافة تشریفیة.

التأویل الباطل والتکفیر

۲– أما من لا یرید الفتنة ولا یقصدها، فإنّه لا یحق له أیضاً أن یتعامل بشکل مباشر مع القرآن الکریم لعدم کفائته ولوجود أرضیة التکفیر فیه، وإلاـ تتکرر قضیة الخوارج، فإن بعضهم لم یکن مغرضاً، ولذا قال الإمام أمیر المؤمنین: ?فلیس من طلب الحق فأخطئه– یعنی الخوارج– کمن طلب الباطل فأصابه.

نعم کثیر من الخوارج وإن لم یکونوا مغرضین إلاـ إنّهم لم یکونوا مؤهلین ولذلک کفّروا أمیر المؤمنین، ?ولاـ زال تکفیر المسلمین متداولاً.. وقد صارت هناک ظاهرة عامة بحیث یجتمع کل جماعة ویجعلون لأنفسهم أمیراً بدون وجود مؤهلات علمیة وخبرة و رسوخ فی العلم، یطالعون کتاب الله عزّ وجلّ ثم یکفّرون جمیع المسلمین.

والخوارج إنما کفّروا أمیر المؤمنین ?اعتماداً علی قوله تعالی: {.. إِنِ الْحُکْمُ إِلاَّـ لِلّهِ.. } وقوله تعالی: { وَمَن لَّمْ یَحْکُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِکَ هُمُ الْکَافِرُونَ } وفی منطق الخوارج أن أمیر المؤمنین ?حکَّمَ غیر الله عزّ وجلّ فی دینه لذا فهو کافر– والعیاذ بالله–، ودلیلهم: أن الإمام ?جعل رجلًا حکماً مع أن الله یقول: { إِنِ الْحُکْمُ إِلاَّ لِلّهِ} فقالوا له: کیف تحکم فی دین الله هذه الرؤیة القاصرة فقادوا حرباً بل حروباً عبر التاریخ نتیجة لذلک، حیث کان لهم امتداد تاریخی بعد حقبة الإمام علی بن أبی طالب، ?ویذکر فی التاریخ أنّهم کانوا یمرون من طریق فرأوا عبد الله بن خباب وفی عنقه قرآن فأخذوه وأضجعوه وقالوا: إن قرآنک یأمرنا أن نقتلک ثم ذبحوه.

القرآن یُصرّح بالتحکیم

مع أن القرآن الکریم یصرح بالتحکیم فی قوله عزّ من قائل: {.. فَابْعَثُواْ حَکَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَکَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ... } وفی آیة أخری فی محرّمات الإحرام یصرّح بالتحکیم أیضاً: { یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّیْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنکُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ یَحْکُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنکُمْ.. }، ولکن یأتی من هو جاهل ولا کفائة علمیة له یُصرّح بمعنی التحکیم، ولا أهلیة له کی یتصدی لتأویل القرآن الکریم!!

وکذلک فی زماننا جماعة یجلسون ویلاحظون آیة من آیات القرآن ویکفّرون المجتمع ویقتلون الأبریاء، فإن لم یکن إزاحة غموض کتاب فی النحو إلا بالرجوع إلی أهل الخبرة فکیف فی هذه القضیة المهمة التی تترتب علیها دماء ونفوس؟

من هو الخبير بالتأويل؟

يقول الله عزّ وجلّ فى القرآن الكريم بالنسبة إلى العارف بالتأويل: {.. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ.. } فالذى له حق التأويل هو الله عزّ وجلّ أولاً؛ والراسخون فى العلم الذين لهم قدم ثابتة فى العلم والمعرفة ثانياً، يقال للنخل >الراسخات <لأنها ثابتة فى الأرض ومتجذرة فيها.

التأويل عبر القاعدة العلمية

تشير الآية إلى أن التأويل يحتاج إلى قاعدتين:

الأولى: القاعدة العلمية الراسخة، ومما يؤسف له أن من الأشياء المتداولة والمعروفة فى عصرنا الراهن أنّ بعض الأفراد يحاولون تفسير الدين بالثقافة العامة، فمن له ثقافة دينية عامة وطالع مجموعة من الكتب ويتمكن أن يلقى محاضرة دينية، يأتى ويتصدى ويفتى فى قضية اجتماعية مثارة كقضية حقوق المرأة مثلاً فيجلس ويقول: رأيى كذا!!

فهل يمكن لأحد أن يدلى برأيه فى قضيّة طبيّة اعتماداً على ثقافة طبيّة عامة؟

وهل يذهب من يريد إجراء عملية قلب ويسلّم نفسه لمن له ثقافة طبيّة عامّة؟

بالطبع أن الجواب بالنفى، لأن الثقافة الطبيّة العامّة لاتكفى، كذلك هو الأمر فى الدين فإنّ الثقافة الدينيّة العامّة لاتكفى فى الحكم والفتيا.

حوار حول القاعدة العلمية

رأيت شخصاً من الّذين لهم نظريات فى عمق الدين، فدار بينى وبينه حوار مطوّل، قلت له فيه: هل درست علم الفقه؟

قال: نعم درست.

ثم سألته: هل درست علم الأصول؟ فإن أقل من درس علم الأصول لو جرى بينك وبينه حوار فى أية قضيّة من القضايا الأصولية، ومن أوّل الأصول إلى آخره لايتمكن أن تصمد أمامه حتى فى مسألة واحدة؟

وهل قرأت علم الرجال؟ وهل تعرف علم الدارية؟

فيلزمك أن تعلم مجموعة من المقدمات، بل الأمر أصعب من ذلك بكثير، فإن الوصول إلى فهم الدين يحتاج إلى رسوخ فى العلم بأن يقصد الطالب الحوزات العلمية المباركة ويبقى فيها عشرات السنين مشغولاً بالفقه والأصول ويسهر الليالى فى ملاحظة روايات أهل البيت ?و.. الخ.

فالراسخون فى العلم يقضون عمراً حتى يصلوا إلى مرتبة الاجتهاد واستخراج الرؤى والأحكام الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ولكنّ شخصاً لا يعرف الفقه والأصول ولا علم الرجال والدارية ولا الكلام، يأتى ويخبط خبطة عشواء: ثم يأخذ أيةَ آية تنفعه باعتقاده، ويتشبث بالروايات الضعيفة لكونها تؤيد فكرته وهو لا يعرف موازين الضعف والقوة ولا قواعد علم الرجال.

فأية رواية تؤيد فكرته يأخذها، ولكنه فى مكان آخر يذكر نفس الرواية ويعبر عنها بأنها ضعيفة، ويترك الآيات والروايات التى تصطدم بشهواته وآرائه وأفكاره.

إذاً فهم القرآن الكريم والتعامل معه يحتاج القاعدة العلمية الراسخة أولاً.

التأويل والقاعدة الإيمانية

إن الراسخين فى العلم الذين: {.. يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ..} هم الذين يحق لهم التأويل. فالعالم الذى قاعدته الإيمانية ضعيفة لا يحق له التعامل مع القرآن الكريم...

وعلى سبيل المثال عندما يرى ضعيف الإيمان ظاهرة غامضة أو يواجه مشكلة فى حياته، يرتد عن الدين ويكفر، لِمَ ذلك؟

لأن إيمانه ضعيف، وهذا الأمر يُصرّح به القرآن الكريم.

هكذا الراسخ فى العلم فإنّه يحتاج إلى قاعدة إيمانية بحيث لو واجهة غموض أو إبهام فى أمر ما يحلّه بقاعدة الإيمان.

الطريق اللمى لكشف الغموض

عندما تظهر ظاهرة من الظواهر ويراد تحليلها، إما أن نحلّلها تحلّيلاً مباشراً وهو غير ممكن إلا إذا كانت للفرد إحاطة علميّة، وأحياناً لا يتمكن الفرد أن يحلّل ظاهرةً أو حكماً، فلو كان الفرد محيطاً بها لحلّلها تحلّيلاً علمياً، ولكن إن لم يكن محيطاً بها فعندها يجب عليه ملاحظة أمور ثلاثة، وهى: الفاعل والحاكم والآمر- كما يقول العلماء- فينتقل انتقالاً لُمياً من العلّة إلى المعلول.

فلو شاهدنا طفلاً بريئا لم يرتكب أىّ جرم وقد أخذ شخص بمبضع يقطع رجله! ولم تكن هناك إحاطة علمية بتحلّيل هذه الظاهرة، هنا التحلّيل المباشر يفشل فى كشف الحقيقة، ولكن يوجد طريق آخر وهو الطريق اللمى، والسؤال هنا: من الذى يقوم بهذا العمل؟

فقد يكون الطرف جلاداً كأحد البعثيين، ومعه يكون تفسير العمل واضحاً، ولكن عندما يكون الطرف أبا رحيماً شفيقاً حكيماً يُقدم على قطع رجل طفله، يطمئن الإنسان بأنّ هناك سبباً وحكمةً وراء هذا العمل، والحكمة هى حفظ حياة الطفل، لأنه- مثلا-: أصيب بمرض السكر وإن لم تقطع رجله، يسرى السكر إلى بقية أعضائه و يقضى على حياته، فعندما لا يمكن معرفة كنه الحدث يمكن تفسيره بمعرفة الآمر والعامل الفاعل، والحكم على أنه عمل فيه مصلحة وحكمة، كذلك فى ظواهر التشريع توجد نقاط إبهام فى الدِّين، مثلاً: لماذا قال المولى: {.. مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ.. }؟

فقد لا يفهم البعض العلة فى ذلك، ولكن عندما نعلم أن هذا القانون شرّعه إله حكيم عليم ودود رحيم، لا يريد إلا مصلحتنا فى الدنيا والآخرة، نسلم بذلك ونؤمن به.

فالراسخون فى العلم إن تمكنوا أن يحلّوا مشكلة التشابه بالإحاطة العلمية فبها، وإن لم يتمكنوا فيحلّونها بقاعدة الإيمان و {.. يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ.. }: وهذه الجملة كأنها تعليل لقوله عزّ وجلّ: {.. كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا.. } أى: المحكم من الله والمتشابه من الله أيضاً.

من له الحق فى التأويل؟

يبقى أن نبحث فى نقطتين:

الأولى: على ضوء الآية المباركة هل هناك من يحيط بعملية التأويل وكشف المراد الجدى من الآيات المتشابهة سوى الله سبحانه وتعالى؟

فى الإجابة على هذا السؤال يوجد اتجاهان:

الأوّل: يرى الواو فى الآية الكريمة للعطف.

الثانى: يرى أن الواو فى الآية الكريمة للاستئناف.

وحسب المبنى الأوّل يجب أن تُقرأ الآيةُ المباركةُ على هذا النحو: {.. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. } فالذى يعلم التأويل >الله <أولاً، وبتعليم الله >الراسخون فى العلم <ثانياً، وكلمة يقولون تكون واقعة موقع الحال، وعليه فهكذا تكون الآية: {.. إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. } - يعلمون التأويل- حال كونهم: {.. يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ.. }.

يقول ابن مالك فى ألفيته:

وذات بدء بمضارع سبت حوت ضميراً ومن الواو خلت

كما لو قلنا: جاء فلان يضحك، فإن يضحك جملة فعلية واقعة موقع الحال.
وطبقا للاتجاه الثانى: يجب أن تقرأ الآيـة الشـريفة على النحو التالى: {.. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ.. } ونقف، ثم نقول فى جملـة جديدة: {.. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ.. } فيكون الراسخون مبتدأ ويقولون خبر، وعليه فإن الراسخيين فى العلم لا يعلمون التأويل.

المعصومون ?والعلم بالتأويل

المعصومون ?والعلم بالتأويل

يبدو للنظر أن الأتجاه الأوّل هو الأقرب وذلك لعدة قرائن:

القرينة الأولى: التاريخ يشهد بعلمهم بالتأويل

لم نجـد طوال التاريـخ أن أحـداً أتى إلى النبى الأعظمصـلى الله عليه و اله أو أحداً من أهل البيت ?الذين هم أدرى بما نزل فى البيت، سائلًا: ما معنى هذه الآية؟ فكان جوابه: لا أعلم لأن هذه من الآيات المتشابهات التى إختص الله بها، بل كان العكس.
فقد قال الله تعالى: {.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ..} فالنبيصـلى الله عليه و اله وأهل البيت ?كانوا مبيّنين، فلا يُسألون عن آية متشابهة إلا ويكون الجواب حاضراً عندهم.
وكان كبار العلماء يرجعون إلى أهل البيت، ?بل أئمـة المذاهب الأربعة كلهم عيال عليهم، ?فقد قال أبو حنيفة تلميذ الإمام الصادق:? لولا السنتان لهلك النعمان وكذا مالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل كلهم تلاميذ او تلاميذ تلاميذ الإمام الصادق.?
وفى كثير من الحالات كبارهم- خلفائهم، قضاتهم- عنـدما كانوا يتورطون فى آية أو حكم أو رواية كانوا يلجئون إلى أهل البيت ?أو إلى تلاميـذهم، فقـد روى الكلينى ?فى كتاب الكافى قصـة ركب الجاريـة عندما جاءوا إلى ذلك القاضـى وسألوه مسئلة حول ركب الجاريـة، فحـار فى الجواب وقـال: إنى أجـد فى بطنى غمزاً ولمزاً وهرب وتهرّب من الجواب، وجاء إلى أحـد تلاميـذ الإمام الصادق? وسأله المسألة.

القرينة الثانية: روايات تشهد على عملهم بالتأويل

لقـد وردت روايـات مـأثورة فى تفسـير الآيـة المباركـة تشـهد بعلمهم بالتأويل، وهى كثيرة مـذكورة فى تفسـيرى البرهان ونور الثقلين وغيرهما من الكتب التفسيرية، منها:
۱- عن بريد بن معاوية عن أحدهما- الباقر أو الصادق- فى قول الله عزّ وجلّ: {.. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. } قال الإمام: ?رسول اللهصـلى الله عليه و اله أفضل الراسـخين فى العلم قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل- ثم الروايـة تشـير إلى نقطة لطيفة وتقول- وما كان الله لينزل عليه شيئاً ولم يعلّمه أوصيائه من بعده يعلمونه كله.

فمع نزول الكتاب على قلب النبيصلى الله عليه و اله كيف يكون جاهلاً بتأويله؟
فهو أشبه بأن يكتب مؤلف كتاباً لا يعلمه إلا هو؟
وهذا العلم انتقل إلى أوصياء النبى الأعظمصلى الله عليه و اله.
٢- عن أمير المؤمنين ?فى حديث: علّمنى رسول اللهصلى الله عليه و اله ألف باب من العلم يفتح لى من كلّ باب ألف باب ووصانى بما أنا قائم به إن شاء الله..

القرينة الثالثة: مناسبة الحكم والموضوع

إنّ المناسبة فى صفة رسوخ الأئمة ? فى العلم بالتأويل هى ما يصطلح عليه فى علم البلاغة: (مناسبة الحكم والموضوع)، إذ يجب أن تكون هناك مناسبة بين(السند)(والمسند إليه) كقول الشاعر حول الكعبة:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

فمن(المسند إليه) وهو اسم إنَّ يمكن كشف طبيعة(المسند) الذى هو خبر إنَّ، فهناك مناسبة بين هذا المبتدأ وهذا الخبر.
فصفة الرسوخ فى العلم تناسب العلم بالتأويل ولا تناسب عدم العلم به، فلو كان المراد أنّ الراسخين لا يعلمون التأويل لكان ينبغى أن يُقال: والمؤمنون يقولون آمنا به، لأن الإيمان يمثل حالة تسليم وحالة خضوع، ولكن حيث ذُكرت كلمة {.. الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. } فهى تناسب معرفة التأويل لا عدمها، فمن هذه القرائن وقرائن أخرى نستطيع أن نقول: إنّ الواو فى الآية الكريمة هى للعطف.

العلماء وبعض مراتب التأويل

الثانية
هل معرفة التأويل تختص بالمعصومين ?أو يمكن للآخرين العلم بالتأويل أيضا؟ ما يمكن أن يُقال على نحو الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال: إنّ معرفة التأويل من الحقائق التى لها مراتب مختلفة- ويعبّر عنها فى علم المنطق بالحقائق المشككة -، فالمرتبة العُليا من معرفة التأويل والتى هى عبارة عن المعرفة الكاملة والإحاطة التامة تختص بالنبى الأعظمصلى الله عليه و اله وبأهل البيت الطاهرين، ?ولكنّ هذا لا ينافى أن تكون هنالك مراتب من العلم بالتأويل يمكن لبعض العلماء الربانيين أن يعرفوها، وربما يؤيد ما ذكرناه ما روى عن الامام الباقر، ? يقول الراوى >: قلت لأبى جعفر- الباقر: ?-فى قول الله تعالى: {.. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. } ما معنى هذه الكلمة؟ فقال: ?يعنى تأويل القرآن كله <فالمعرفة الكلية والمعرفة الإحاطية تختص بأهل البيت.?

الآيتان

الآيتان

{ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }.
المفردات:

لا تزغ: الزیغ هو الانحراف. وزیغ القلب انحرافه.

هب: الهبة: إعطاء الشیء بلا انتظار عوض.

رحمة: جیءب > رحمة < مُنکَّرة لأن الإنسان لا یعرف خیره من شره فعلیه أن یجعل الرحمة موقوفة علی الإدارة الإلهیة.

الوهّاب: کثیر الهبة.

لیوم: یوم القیامة ویوم الحشر.

لا ریب فیه: الریب أخص من الشک، وهو الذی تختلط به حالة من سوء الظن.

المیعاد: الوعد یکون فی الخیر والشر، یقال: وعدته بنفع وضر وعدا وموعدا ومیعادا، وأما الوعید فهو فی الشر خاصة.

التفسیر: وقتیة النعم المادیة والمعنویة

التفسیر: وقتیة النعم المادیة والمعنویة

هل یتصف ما یملکه البشر من النعم والمواهب الإلهیة بصفة الدیمومة والثبات؟

الجواب کلا، ومع ذلک فإن الإنسان یتعامل مع المواهب الإلهیة وکأنه یمتلکها وأنها باقیة إلی النهایة!!

فمثل العین یتصور الإنسان أنها نعمة باقیة إلی النهایة ولا یخطر فی ذهنه أنها قد تسلب منه فی یوم ما، ألا یری البشر أنه یوجد أکثر من ۲ ملیون مکفوف فی العالم- حسب بعض التقاریر، کثیر من هؤلاء کانوا فی یوم ما مبصرین وفجأ سلبت منهم هذه النعمة.. وهکذا کثیر من المعوقین الراقدین فی المستشفیات، فی لحظة ما تصدمه سیارة فینقطع نخاعه الشوکی ویبقی مشلولاً إلی آخر حیاته.

هذه النعم لا نملکها نحن البشر وإنما هی عطاء الله تعالی وتبقی إلی الوقت الذی یریده الله عزّ وجلّ بالطبع هذه الحقیقة الموجودة فی النعم المادیة توجد أیضا فی النعم المعنویة، الجاهلون یظنون أنهم فی أمان، علما بأن الأمن من مکر الله عزّ وجلّ من المحرّمات المذکورة فی الفقه، قال تعالی: {.. فَلَا یَأْمَنُ مَکْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.. }، حیث یظن الجاهل أنه یسیر فی طریق معبد وأن موهبة الإیمان والهدایة باقیة له إلی النهایة!! إلا أنّ الراسخین فی العلم یشعرون بالخطر العظیم- و هذا من رسوخهم فی العلم- فهم کمن یمشی علی حافة هوة سحیقة أو علی جبل خطر یحتمل السقوط فی أیة خطوة و الهلاک فی أیة لحظة، إنّهم یسیرون فی الحیاة کمن یسیر فی منطقة مملوئة بالألغام فی کلّ خطوة یمکن أن ینفجر لغم فیحوّل هذا الرجل إلی معوق حتی آخر حیاته، أو تنتهی حیاته فوراً.

التضرع طریق استمرار الهدایة

من عادة الراسخین فی العلم أنهم یتوجهون إلی الله سبحانه وتعالی فی ضراعة مرددین: {.. فَلَا یَأْمَنُ مَکْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.. } فإنّ القلّب السلیم قد ینحرف بعد الهدایة التی هی نور من الله عزّ وجلّ، و قد یسلب الله عزّ وجلّ هذا النور علی أثر غفلة- کمن یقع من الجبل علی أثر غفلة، قال تعالی: { ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَکَهُمْ فِی ظُلُمَاتٍ لاَّ یُبْصِرُونَ } وفی آیة أخری {.. یُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُمَاتِ.. }.

وهنا یُطرح سؤالٌ هو: ما هی مناسبة الدعاء بالآیات المتقدمة؟

الجواب: إنّ فی القرآن الکریم آیات متشابهات- من المتشابهات فی عالم التشریع کما توجد متشابهات فی عالم التکوین- یمکن أن تکون نقطة انحراف، لأن الفرد قد لا یفهم حکماً من الأحکام الشرعیة فیؤدی الجهل به إلی الانحراف.. أو قد یقع الفرد فی امتحان من الامتحانات الإلهیة- تکون مقدمته اختیاریة أو غیره اختیاریة- ففی الکافی الشریف فی روایة موثقة: قال الإمام الصادق >: ?إذا همَّ أحدکم بسیئة فلا یعملها فإن الله تعالی ربما رأی العبد علی ذنب فقال: لا أغفر له أبدا.<

متى تُسلَبُ روح الإيمان؟

وفي مضمون حديث آخر في الكافي الشريف: إنّ الّذي يزني، في حالة الزنا يسلب الله منه روح الإيمان، وإذا سُلبت روح الإيمان فقد لا تعود فإنّ النعمة قلّما أدبرت عن قوم فأقبلت إليهم كما في حديث آخر. ولذلك ورد في الحديث أكثروا من قرائة هذا الدعاء: { رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ }.
ينتقل في أحوال الجد ?أنّه كان ملتزماً بقراءة الدعاء التالي في سجود الركعة الأخيرة من كل صلاة >: اللهم إجعل عواقب أمورنا خيراً ، <فقيل له: لماذا تدعوا بهذا الدعاء وأنت رجل معروف بالإيمان والتقوى وقد بلغت السبعين من العمر؟ فمثلك ممن قضى عمره في خط الإيمان والجهاد هل يحس بخطر؟ فقال: ?إنّي أخاف أن أكون {.. كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا.. }.

رجال سقطوا في التاريخ

۱– الزبير

رجل طالما كشف الكرب عن وجه النبيصلى الله عليه و اله كما قال أمير المؤمنين، ?وفجأة ولما شبّ ولده عبد الله وقع في منعطف اجتماعي وكانت له طموحات في الحكم والقيادة، فسقط في الامتحان وخسر كل تاريخه وانتهى، وعندما جيء برأسه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ?قال: سيف طالما كشف الكرب عن وجه رسول اللهصلى الله عليه و اله، ثم قال: بشر ابن صفية وقاتله بأنهما في النار.

۲– الشلمغاني

عالم كبير ومتقدم على أهل زمانه اجتماعيا، ولكنه فجأة وقع في منعطف اجتماعي، فصدر اللعن من الناحية المقدسة بحقه وحق اتباعه فخسر آخرته ودنياه، حيث أخذه السلطان وصلبه.

۳– العابد المعروف برصيصا

البداية كانت نظرة واحدة– وهذه هي المقدمة الاختيارية نظرة واحدة فقط ولكنّها هي المنعطف في تاريخه– ثم بعدها ارتكب الفاحشة وعبد الشيطان– حيث سجد له– فكفر بالله تعالى وكان عاقبة أمره أن صلب فخسر دنياه وآخرته.

المطالبة من الله تعالى

هذا هو الخطر الذي يشعر به الراسخون في العلم فيتضرعون بالله قائلين { رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.. } ولكنهم لا يقتصرون على هذا الدعاء بل هناك قاعدة عامة في التعامل مع الله سبحانه وتعالى وهي الأخذ والمطالبة منه، لأنه القادر المطلق، الكريم المطلق، فكان لابد من عدم الاقتصار على طلب عدم الزيغ بل طلب أمر آخر أيضاً، فيضيفوا على ذلك قولهم: {.. وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً.. } الثبات أولاً والرحمة ثانياً.

رحمة مبهمة

ما هي الرحمة التي يطلبها الراسخون في العلم؟

هـذه الرحمـة نكرة وليست بمعرفـة، قـال تعـالى: {.. وَهَبْ لَنَـا مِن لَّدُنكَ رَحْمَـةً.. } ولعلّ العامل فى تنكيرها أنّ المؤمن لا يعرف ماذا يحتاج إليه، فهو يعرف بعض الأشـياء التى يطلبها من الله سـبحانه وتعالى، ولكنّه يجهل أكثر الأشـياء، ولذلك ورد فى دعاءٍ أنّ المؤمن عندما يسأل الله سبحانه وتعالى هكذا يقول >: اللهم إنى أسئلك من كل خير أحاط به علمك.. < فما هو ذلك الخير؟ لا نعلم.

بل فى بعض الأحيان نطلب من الله ما نتصوره خيراً بينما يكون ذلك شراً لنا، فقد يطلب المرء أولاداً من الله ويتصور أن خيره فى ذلك وإذا بالطفل يكون كعبد الله بن الزبير الذى قاد والده إلى جهنم.

لـذا كانت الرحمة مبهمة، وحتى لو طلبنا من الله سـبحانه شـيئاً معيناً يجب أن نعلّقه على الإرادة الإلهية، فنطلب ما نتصوره رحمة، ولكن نجعل الأمر موقوفاً على إرادة الله سبحانه وتعالى: {.. وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ.. } لم نطلب شيئاً فى غير محلّه، بل الذى طلبنا منه هو الكريم وهو الوهّاب والوهّاب يعنى: كثير الهبة أى: من يعطى بلا انتظار عوض.

كيف نتغلب على الشهوات

تذكر الآخرة الوقاية والعلاج:

أمـا الـدعاء الأـخير للراسـخين فى العلم فهـو: { رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ.. } حيث يتوجه الراسـخون فى العلم فى هـذا المقطع بقلوبهم إلى ذلك اليوم الذى لا ريب فيه: يوم القيامة ويوم الحشر.

ولكن ما هو موقع هذا الدعاء فى هذه الأجواء؟

فى الجواب نقول: الالتفات إلى يوم القيامة يشـكّل أهم ضـمانة لاسـتقامة المؤمن، إذ أن الفرد ضـعيف وأهوائه وشهواته القوية تضغط عليه، فتسـلب منه عقله الـذى طالما أعطاه حالـة الثقل والسـيطرة على النفس، ولكن عنـدما تهيـج الشـهوة قد يغلب العقل فتتخبط رؤية الإنسان ويفقد السيطرة على إرادته.

وبعض الشـهوات عنيفـة جـداً يصـعب التغلب عليها، منها الشـهوة الجنسـية وشـهوة الرئاسـة والمال و..، ففى الحديث الشـريف عن أمير المؤمنين ?أنّه قـال >: حب الرئاسـة رأس المحن، <بحيث تُرتكب ملاـيين المحرّمـات لإرضاءها، فالعلاقات الاجتماعيـة تضـغط على الإنسان بقوة ومن الصعب جداً عدم الرضوخ لها، فقد يرى الفرد أنه أصبح وحيداً، فهذا أصبح ضده، وذلك الصديق متبرأ منه، فيكون كـأبى ذر الغفارى ?الّـذى عاش وحـده ومات وحـده، فقـد يريـد الإنسان أن يكون مقبولاً فى المجتمع إلا أنّ الوظيفـة الشـرعية أحياناً تفرض عليه أن يجهر بالحق، فإن جهر به خسر جميع علاقاته الاجتماعية وأصبح منبوذاً فى المجتمع وهذه حالة مؤذية جداً، وما أصعب أن يشـعر الإنسـان أنّه منبوذ فى عـائلته كـامرأة ترى أنّ زوجهـا لا يعتنى بها ولا يحبها ولا يلتفت إليها، أى حالـة تحـدث فى قلب هـذه المرأة؟

إنّ الضغوط الاجتماعية ضغوطاً هائلة، ولكن ماذا يفعل الفرد حينما تقتضى الوظيفة الشرعية أن يتخذ هذا الموقف أو ذاك؟

هنا يوجـد خطر الانحراف، والذى يقف أمام هذا الخطر هو تذكر ذلك اليوم الذى لا ريب فيه. فيقول الإنسان لنفسه: إن خسـرت هذه العلاقات الاجتماعية فقد خسرت الدنيا والآخرة، هذه الشهوة تجاوزتها ولكنى ربحت الجنّة، هذه المرأة خسرتها ولكن ربحت رضا الله تعالى...

فلابد من هذا الدعاء فى هذه الأجواء >: ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه.<

والريب أخص من الشك فهو الشك الـذى تختلط به حالـة من سوء الظن، فلا يقال ريب إذا حصل الشك فى نزول المطر غداً، ويقال ريب إذا سيء الظن برجل أنّه ربما يكون قاتلاً.

{.. اليوم لا ريب فيه.. }: الكفّار يرتابون فى يوم القيامة إلا أنّ ما وعد به الأنبياء صدق وليس بكذب، كما زعم عمر بن سـعد لعنه الله حيث قال >: يقولون إنّ الله خالق الجنّة ونار < ... إلى أن يقول:

فإن صدقوا فيما يقولون إننى أتوب إلى الرحمن من سنتين!!

>إِنَّ اللّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ < هذه ربما تكون بمنزلة العلّة أو الدليل حيث الله وعد، والله لا يخلف الميعاد: لأنّه ليس بجاهل ولا ناسى ولا عاجز، أما من يخلف الميعاد: فهو إما جاهل أو ناس نسى الوعد فأخلفه، أو عاجز عن الالتزام بوعده.

القميان والخوف من الآخرة

لا بأس أن نذكر شواهد من التاريخ الحاضر لنرى كيف أنّ تذكُر الآخرة اليوم الذى لا ريب فيه يحفظ المؤمن أمام هذه الضغوط الهائلة:

۱- جاء السيد حسين القمى ?إلى كربلاء المقدسة ولم يكن له بيت، فأضافه أحد وجهاء كربلاء فى بيته، فبقى السيد القمى ?فترة طويلة هناك، وكان الرجل يقوم بخدمته، وبعدها انتقل إلى بيت آخر، ثم بعد فترة حدث خلاف على أرض بين رجل وبين ذلك الوجيه الذى كان القمى ?ضيفا عنده فإتفقا على أن يحكم بينهما السيد القمى ?والوجيه مسرور لكونه ذا فضل على السيد وله يد عليه فلابد أن يراعى جانبه.

جاء المتنازعان وعرضا الأمر، والسيد القمى استمع بإمعان إليهما، ثم التفت إلى الوجيه وقال له: أنا أشكرك على ما تحملت من العناء طوال تلك المدة وأنا معك فى كل شيء ولا أفارقك إلى باب جهنم! ولكن: لا أدخل لأجلك فى جهنم، الحق ليس معك وإنما هو مع خصمك!.

كثير من الناس لو تعرّضوا لمثل هذا الموقف يشعرون بالحرج وصعوبة إظهار الحق، وكثير من الأفراد يدخلون جهنّم بسبب علاقاتهم الاجتماعية، ولكن على المؤمن أن يقول: وإن أصبح هذا عدواً لى لا بأس بذلك فإنى لا أعيش فى هذه الدنيا إلا فترة قليلة وتنتهى هذه الدنيا، وقد نقل أنّه زادت علاقة الوجيه بالسيد القمى ?بعد تلك القضية مع أنّه حكم ضده.

۲- الروحية التى كانت فى السيد القمى ?انتقلت إلى ابنه السيد تقى القمى وهكذا يورث الآباء أبنائهم:

يُنقلُ أنّ السيد القمى بعيدٌ عن الكذب إلى أبعد الحدود، مع أنّ الإنسان قد يقع فى الحرج ولا طريق له للتهرب من الكذب، فهنا يدور الأمر بين الله جلّ جلّاله وبين المجتمع، فهل يخسر الله تعالى ليرضى الناس فيكون مصداقاً لقوله عز وجل: { إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَـ يُؤْمِنُونَ.. }، أو يكون مثل الحر الرياحى الذى قال: إنى أخير نفسى بين الجنّة والنار؟ ولذلك كان يرتجف: هذه رعشة القرار الصعب: القرار الذى لم يتخذه أحد من قواد الجيش المنتصر فى التاريخ فيما نعلم، ومن الطبيعى أن يرتعش من يرى أنّه مخيّر بين الموت والخلود فى الآخرة أو الحياة والعيش الهنيئ فى الدنيا، فأحياناً يرى الإنسان نفسه بين الجنة والنار ولابد أن يختار بينهما، هنا قضية الإيمان باليوم الآخر تعينه فى هذا الموقف.

كذلك كان السيد القمى لاـ يفتى مع أنه مجتهد وقد قضى من عمره سبعين عاما فى الخط العلمى، وعندما طبعت رسالته العملية جمعها وأتلفها، فقيل له: لماذا؟

قال: كلما أتذكر القبر وسؤال الله عندما أقف بين يديه: لماذا أفتيت بهذه الفتيا، يرتعش بدنى ولا أتمكن أن أتحمل ذلك..

وفى المقابل نرى شخصا لم يقرأ من العلم شيئا يجلس ويفتى فى العقائد والأحكام والتشريعات وفى كل شيء، فيقول: بنظرى هكذا.

ولاـ يخفى أنّ الفقيه المطمئن بينه وبين الله سبحانه إن توصل إلى قناعة فى مسألة يحق له أن يفتى فيها، فقهائنا عندما يتوصلون إلى قناعة يفتون، ولكن لاحظوا تذكر الآخرة ماذا يصنع بالمؤمن، خوف أن يكون هنالك نوع من القصور أو التقصير فى المقدمات.

فيجب أن ننّمى فى أنفسنا حالة التوجه والالتفات إلى الآخرة التى { لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ } فإن نمّينا هذه الحالة نتمكن أن نتغلب على ضغوط الشهوات وضغوط المطامع والضغوط الاجتماعية وبالتالى نضمن استقامتنا فى طريق الإيمان إن شاء الله تعالى.

الآیات

اشاره

{ إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُواْ لَن تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَیْئًا وَأُولَئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِینَ مِن قَبْلِهِمْ کَذَّبُواْ بِآیَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِیدُ الْعِقَابِ قُل لِّلَّذِینَ کَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ کَانَ لَکُمْ آیَةٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَأُخْرَى کَافِرَةٌ یَرَوْنَهُم مِّثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ وَاللّهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَن یَشَاء إِنَّ فِی ذَلِکَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِی الأَبْصَارِ }.

المفردات

لن تغنی: لن تجدی ولن تنفع من عذاب الله وبأسه ونکاله فی الدنیا والآخرة.

وقود: آلة الإیقاد والوسیلة التی توقد بها النار.

کدأب: الدأب هو المنهج والطریقة الدائمة.

فأخذهم: عاقبهم.

تحشرون: الحشر یعنی جمع جماعة وسوقهم باتجاه هدف معین.

المهاد: المکان الذی مهد حتی یستقر فیه الإنسان کالفراش.

آیة: علامة واضحة.

مثلَیهم: ضعفهم.

رأی العین: حقیقة واضحة ولم یکن خیالا ولا توهما.

یؤید: التأیید هو التقویة.

لعبرة: العبرة هی الانتقال من شیء إلی شیء آخر، والدمع إنما یقال له عبرة لأنه ینتقل من الأجفان إلی الخد، والکلام یقال له تعبیر لأنه ناقل للمعانی، فعندما یری الفرد ظاهرة علیه أن لایجمد علیها بل ینتقل إلی مدلولاتها.

الأبصار: الرؤیة بالقلب لا العین الظاهریة.

الإعراب

یرونهم مثلیهم: فیه بحث طویل، فمن یری من؟ هل الکفار یرون المسلمین ضعفهم أو المسلمون یرون الکفار کذلک؟

إحدی الاحتمالات هو أن یعود ضمیر الفاعل فی یرونهم إلی المسلمین، وضمیر المفعول إلی المشرکین، أی إن الکفار هم ضعف المسلمین.

التفسیر

المدخل

أشرنا سابقا إلی إن هذه السورة المبارکة أو علی الأقل ثمانین آیة منها نزلت فی أجواء تحدیات کبری کانت تعیشها الفئة المؤمنة فی المدینة المنورة، هذه الآیات الأربعة تتناول السناد الّذی تستند إلیه الجبهة الکافرة والمصیر الذی ینتظر هذه الجبهة، إذ أنّ کلّ إنسان فی هذه الحیاة یحتاج إلی سند ویحتاج إلی سناد یعتمد علیه.

الله عزّ وجلّ سند المؤمن

السند الذى يعتمد عليه المؤمنون واضح وهو الله سبحانه وتعالى، ففى الحديث عن الإمام زين العابدين: ?إنه لو هلك جميع أهل العالم ولم يبق أحد من البشر فى هذه الحياة ما كنت لأستوحش مادام كتاب الله معى.

ولكنّ الكفّار الّذين قطعوا ارتباطهم بالله سبحانه وتعالى لا يوجد لهم ذلك الركن الشديد الذى هو الله عزّ وجلّ ولذلك يعتمدون على ما يتصورونه ركنا.

المال والرجال ركنا الكفار

سؤال يطرح هنا وهو: الكفّار الّذين قطعوا ارتباطهم بهذا الركن الشديد، ما هو ركنهم الذى يستندون إليه؟

الجواب: إنّ الّذين قطعوا ارتباطهم بما وراء الطبيعة يضطرون إلى الاستناد إلى ركنين فى إطار عالم الطبيعة:

الأول: القوة الاقتصادية، وهى تمثل الوسيلة للإنسان الكافر فيشعر أنه قوى بأمواله وأنها طريقه لفعل كل شيء ولوصوله إلى مبتغاه.

الثانى: القوة البشرية أى الأفراد، الرجال والأولاد- فقد ذكر فى أحوال فرعون أنه كان مغسّلًا للأموات متواضعاً بسيطاً، ولكنّه وصل إلى مقام ومرتبة إدعى فيها الربوبية قائلًا: {.. أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } فياترى من الّذى أوصله إلى هذا الموقع؟

الجواب: المال الذى كان تحت يديه والرجال الّذين كانوا ورائه هما اللذان أوصلاه إلى هذا الموقع، فكان يقول: { أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى.. } وكذلك صدّام العصر الّذى ظهر ضعفه وعجزه عندما قبضوا عليه فتعجب الجميع: لأن هذا الطاغية الّذى أرهب العالم وقتل الملايين يظهر بمظهر الضعيف المختبيء فى جحر من الجحور؟ فمن الذى صنع من هذا الرجل الضعيف طاغوتاً جباراً؟

الجواب:

۱- الأموال التى كان يملكها.

۲- الرجال أو أشباه الرجال الّذين كانوا ورائه، فقلب الكفّار قوى بهاتين القدرتين.

هل يصمد ركنا الكفّار أمام القوة المطلقة؟

والسؤال هنا هو: أن هاتين القدرتين- الاقتصادية والبشرية- التى تقف وراء الكفّار، هل تغنيان عنهم شيئاً؟

والجواب: أن هناك حالتين:

۱- قد يكون فى قبال الجبهة الكافرة إنسان ضعيف عندها يمكن مواجهته بالأموال والرجال.

۲- قد يكون فى قبال الجبهة الكافرة القوة المطلقة التى بيدها كلّ شيء، عندها لايمكن مواجهتها بالأموال والرجال.

فهل تغنى هذه الأموال؟ قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ.. } اعتمد على قوتين؛ قوة المال وقوة الأفراد، كما نرى الآن القوى العظمى الحاكمة فى العالم إنما تعتمد على:

الثروات الضخمة التى ربما لم تشهد دولة لها مثيل فى التاريخ المدوّن، وعلى الجيوش التى تقف خلفها، وبهما تتقدم وتبطش وتفرض رأيها وتفعل ما يحلو لها، ولكن: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ.. } هذه القدرة الاقتصادية >، وَلاَ أَوْلاَدُهُم: < هذه القدرة البشرية: لأن الّذى فى مقابلهم هو القدرة الإلهية المطلقة ولا يمكن للأموال والجيوش والأولاد أن تقف أمامها.

الوثوق بالأبناء

هناك ملاحظتان جديرتان بالتأمل:

الأولى: القرآن الكريم لا يعبّر عن القوة البشرية بالرجال أو الأفراد وإنما يعبر عنها بالأولاد، وذلك لأمرين:

أ: قد یکون لأن الأولاد أقوی وأقرب وأکثر من یطمئن إلیهم الإنسان، اذ الصدیق یمکن أن یخون، کذلک الجندی البعید، ولکنّ العلاقات العاطفیة التی توجد بین الأبناء والآباء عادة تمنع الخیانة، ولذلک غالبا ما یعتمد الأفراد علی أولادهم أکثر من اعتمادهم علی الآخرین..

ب: وقد یکون الاعتماد علی الأولاد یمثل ظاهرة عامّة، فلیس لهم رجال أو جیوش یعتمدون علیها، إلا أنّهم یملکون من الأموال بمقدار یوجد عندهم أولاد یعتمدون علیهم.

الثانیة: هناک احتمالان فی معنی عدم الاغناء

الأول: ذهب بعض المفسرین أنّ عدم الإغناء المذکور فی هذه الآیة المبارکة بمعنی عدم الفائدة والنفع فی الآخرة، فمن الممکن للکفّار أن یحققوا بعض مآربهم فی الحیاة الدنیا، ولکن فی الآخرة المعادلات کلها تتبدل، فالمال یصبح لا قیمة له: { وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا.. } حیث تخرج الأرض ما فی جوفها لأن المعادلات تتبدل، کما تتبدل العملات السابقة لدی تبدل الحکومات التی تسقط فی نظامها الجدید القوة الشرائیة للعملات السابقة، فلا تبقی لتلک العملات أیة قیمة، لأن القدرة الشرائیة کانت لزمن آخر ومعادلات سابقة، أما فی الوضع الجدید فلا تنفع ولا تجدی شیئا.

وکذلک الأمر فی الآخرة حیث تتبدل المعادلات: المال والذهب ولا قیمة لهما حیث لا ینفع شیء من الله سبحانه وتعالی وکذلک الجیوش والأولاد: { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَی..} فیأتی أمثال فرعون وصدّام یوم القیامة وحدهم لا جیش معهم ولا ینفعهم الأفراد ولا الأولاد: { یَوْمَ یَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِیهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِیهِ.. }.

الثانی: شمول الآیة للدینا أیضا، فلن تغنی عنهم حتی فی هذه الدنیا.. ینقل أن حاکما دخل مدینة وأخذ یدمرها، فجائته امرأة کبیرة فی العمر وقالت له: لماذا تدمر وتقتل، أنت الفاتح والمدینة بیدک ألا یکفیک هذا؟

قال الحاکم: ألم تسمعی قول الله تعالی: {.. إِنَّ الْمُلُوکَ إِذَا دَخَلُوا قَرْیَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً.. }.

قالت العجوز: نعم سمعت الآیة ولکن هنالک آیة أخری أیضاً، وهی: { فَتِلْکَ بُیُوتُهُمْ خَاوِیَةً بِمَا ظَلَمُوا.. } ولما سمع الملک الآیة من العجوز- إما لیقضة ضمیر أو لعامل آخر- أمر جیشه بالکف عن الإفساد.. بل هناک العدید من الحضارات التی سادت ثم بادت، ومنها:

۱- أقرب حضارة منّا التی کانت ترهب الدنیا برؤوسها النوویة التی تکفی لتحطیم الکرة الأرضیة عدة مرات، حتی أن البعض فی یوم من الأیام کانوا یتخوفون أن تسیطر هذه الحضارة علی جمیع الکرة الأرضیة، وإذا بهذه الحضارة تنتهی ویتحول الاتحاد السوفیاتی إلی عدة دول من دول العالم المتخلّف.

۲- الامبراطوریة التی لم تکن تغرب عنها الشمس تحوّلت إلی دولة من الدول العادیة.

إذن الأموال والجیوش لا تغنی أمام الله سبحانه وتعالی حتی فی هذه الدنیا فلا تغنی >: مِّنَ اللّهِ شَیْئًا < أی لا تغنی من عذابه وبأسه ونکاله فی الدنیا والآخرة.

الکافر آلة إیقاد النّار

{.. وَأُولَئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} هناک فرق بین کلمة فعول- بفتح الفاء-، وکلمة فُعُول- بالضم- ففَعُول تعنی الآلة، وفُعُول تعنی العمل، وهما مثل الفرق بین الوَضوء والوُضوء، فالوُضوء: یعنی عملیة الوضوء، أی غسلتان ومسحتان، والوَضوء یعنی آلة العملیة، أی الماء الذی یتوضأ به، کذا الفرق بین الفُطور والفَطور، فإنّ الفُطور هو عملیة الإفطار فی شهر رمضان علی التمر مثلاً، والفَطور یعنی الوسیلة التی تتم بها عملیة الإفطار وهو التمر: {.. وَأُولَئِکَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ } الوَقود آلة الإیقاد کالحطب والنفط والبنزین، والکفّار مضافاً إلی أنّ

أموالهم وأولادهم لا تغنی عنهم من الله شیئاً، مصیرهم فی الآخرة إنهم {.. وَقُودُ النَّارِ }، بالطبع هناک فرق بین أن یحترق شخص بالنار وبین أن یکون الوسیلة التی توقد بها النار، وقد تشیر هذه الکلمة- والله أعلم- إلی أن نار جهنّم لیس عذاباً من الخارج وإنّما الکفّار بأنفسهم یوقدون هذه النّار، فآلة الإیقاد هم هؤلاء کما فی آیة أخری: {.. وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ.. } وقد احتمل البعض أن یکون المقصود بالحجارة الأصنام التی کانوا یعبدونها من دون الله تعالی، فهی تشعل جهنّم وهم أیضاً وقود جهنّم، فلا یغتر الکافر بقدراته الاقتصادیة والبشریة لأن هذه مصیره.

معرفة التاریخ والنظرة الشاملة

{ کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِینَ مِن قَبْلِهِمْ کَذَّبُواْ بِآیَاتِنَا.. }.

مدخل:

هناک مسألة تتکرر فی القرآن الکریم وتلاحظ دائما، وهی أن القرآن یربط الحاضر بالماضی، وذلک لأن الأفراد علی نوعین:

۱- صاحب النظرة الناقصة.

۲- صاحب النظرة الشاملة.

فمن یعیش الحضر یؤطر الحاضر فکره من حیث الزمان والمکان، فهما یمثلان سجنین للفکر، فمن یفتح عیناه علی حضارة قائمة بیدها القوة والقدرة وتبطش: { وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِینَ} یغلّف الحاضر تفکیره کما لو جلس الشخص فی غابة ونظر إلی شجرة أو عدة أشجار وظن أن الغابة هی هذه الأشجار.

أما لو أراد أن تکون له رؤیة کاملة فلابد أن یحلّق فی طائرة لیری الغابة بأجمعها، فالنظرتان مختلفتان، حیث إن الأولی ناقصة محدودة والثانیة شاملة.

علم التاریخ یعطی للفرد النظرة الشاملة، ونحن عندما نفتح أعیننا علی حضارة بیدها الآن کل شیء نتصور أنها خالدة ولن یأتی یوم تنتهی فیه هذه الحضارة، ولکن الذی له نظرة تاریخیة یختلف رأیه، الإنسان بدراسة التاریخ یکشف السنن التاریخیة.

ولیس هذا من قیاس ظاهرة أخری وإنما من خلال التاریخ تکتشف القانون العام، مثل ما یذکره علماء الطبیعة من أن الماء یترکب من أوکسجین وهیدروجین، فهل أنهم درسوا جمیع ذرات المیاه فی العالم؟

الجواب: کلا، ولعله لا یمکن ذلک، إلا أنهم لاحظوا مجموعة من العینات وبطرق معینة وتوصلوا من هذه الجزئیات إلی القانون الکلی.

ونحن عندما ندرس التاریخ لا نقیس ظاهرة بظاهرة وإنما نکتشف السنة الإلهیة العامة التی تسیّر التاریخ، فننتقل من الجزئی إلی الکلی، ثم نطبق ذلک الکلی علی جزئیاته الأخری.

وقد دعا القرآن الکریم الکفار إلی عدم الانخداع بقدراتهم.. حیث کانت لهم قدرات ضخمة فی مقابل المؤمنین وفی مقابل النبی الأعظمصلی الله علیه و اله إذ کانت الحضارة الرومیة حضارة عالمیة وکذلک حضارة الفردوس وکانت بید الیهود قلاع وثروات وارتباطات هائلة، إلا أن القرآن یدعو إلی عدم الانخداع بهذه الظواهر من خلال مراجعة التاریخ.

لماذا آل فرعون؟

{ کَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ..} الدأب هو المنهج والطریقة الدائمة، فمنهج هؤلاء الکفّار المعاصرین کمنهج الّذین تقدموهم ومصیرهم کمصیرهم، وربما ذکر آل فرعون ولم یذکر فرعون لعلّه لأن هذا الطاغیة رجل ضعیف لیس بیده شیء وإنّما المهم آله الّذین کانوا خلفه حیث إنهم هم الّذین أعطوه هذه القوة والقدرة.

الحضارة الفرعونية على قمة الحضارات

يوجد احتمالان فى علّة التمثيل بآل فرعون:

۱- ذهب بعض العلماء إلى أن الخطاب مع اليهود فى هذه الآية: الله يذكرهم بتجربتهم التاريخية لأنّهم عانوا ورأوا مصير الكفّار.

۲- يحتمل- والله أعلم- أن الحضارة الفرعونية إحدى أقوى الحضارات فى التاريخ المدوّن، هذه الأهرامات المبنيّة فى مصر لايمكن لأعظم مهندسى العالم مع كلّ التقدم العلمى وكل التقنيات الحاضرة أن يصنعو مثلها- كما قرأت فى تقرير-، فبأى حضارة صنعت هذه الأهرامات؟

البعض يحتمل أن الفراعنة كانت لهم حضارة متقدمة علينا بكثير ويحتمل أنه كانت لديهم ارتباطات بقوى خارج نطاق الطبيعة، هذه الصخور العملاقة كيف حملوها إلى هذا المكان رغم بعد المسافة؟ هذه قضية محيرة فى التاريخ، لعل الله سبحانه يستشهد بهذه الحضارة لأنها تمثل حضارة قوية: { وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ.. } الحضارات المتقدمة: {.. كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا.. } اعتمدوا على قوتهم وعلى أموالهم ولكن: {.. فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ.. } أى عاقبهم وطبعا هذا الأخذ كما يبدوا لم يكن فى الآخرة فقط وإنما كان فى هذه الدنيا أيضا حيث دُمّروا تدميراً فى هذه الدنيا: {.. وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ.. }: الله تعالى أرحم الراحمين فى موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين فى موضع النكال والنقمة، فلا يظن الكفّار أن العقاب الإلهى عقاب هين يمكن للفرد تحمله.

الغلبة للحق وإن ضعف ناصروه

بعد التعرض إلى هذه السنّة التاريخية، يتوجه السياق القرآنى إلى الكفّار المعاصرين للنبى الأعظمصلى الله عليه و اله أو لجميع الكفّار على امتداد العصور: ب > قل <يا رسول الله { لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ.. }: فى هذه الدنيا وهذا يؤيد أن عدم الإغناء يشمل الدنيا أيضا: { وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ.. }: هزيمة فى الدنيا و نكال إلهى فى الآخرة، {.. وَبِئْسَ الْمِهَادُ }.

ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية نزلت بعد غزوة أحد حينما خالف بعض المسلمين أمر النبى الأعظمصلى الله عليه و اله ومنى المسلمون بهزيمة فادحة كاد الكفّار أن يقضوا فيها حتى على النبى الأعظمصلى الله عليه و اله، ولولا سيف على بن أبى طالب، ?وثلّة قليلة من الّذين ثبتوا لانتهى الإسلام ولم يعبد الله تعالى فى الأرض بعد ذلك.

أنذاك انتعشت آمال الكفّار وأصبح المسلمون فى موضع الضعف، فاليهود- مع أنّه كانت لهم حلف ومعاهدة مع النبى الأعظمصلى الله عليه و اله- نقضوا العهد وخرج ستون شخصاً منهم مع كعب ابن الأشرف أحد وجهائهم إلى مكة وتحالفوا مع المشركين، وفى هذا الموقف الّذى يبدوا ضعيفاً، يقول: القرآن الكريم: { قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ.. } لا يغرنّكم هذا الضعف الظاهرى للمسلمين {.. سَتُغْلَبُونَ.. } وفعلاً هذا هو الّذى تحقق، فاليهود كلهم غلبوا: بنى النضير، وبنى قينقاع، ويهود خيبر الّذين تآمروا ضد المسلمين كلهم غلبوا.. وقلعة الشرك التى كانت مكة افتتحت بعد فترة قليلة..

ولا يخفى أن حرف >السين <تدل على المستقبل القريب و >سوف <تدل على المستقبل البعيد، عاصمة الشرك تحطمت بعد وقت قريب، وهذه من إعجازات القرآن الكريم، وهنا ملاحظة ينبغى الدقّة فيها بأن الأفراد حتى القائد والحاكم عندما يتكلمون إنما يتكلمون مع ليت ولعل لأنهم لايحيطون بالمستقبل ولكن عند ملاحظة القرآن الكريم نجده يتحدث بقاطعية كاملة وهذه من دلائل كونه من عند الله سبحانه.

معركة بدر والتأييد الإلهى

القرآن الكريم هنا يستشهد بقضية بدر: { قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ } وآية: العلامة الواضحة،{ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ.. }:

المؤمنون، هـذه الفئـة تعمل من أجل الله تعالى { وَأَخْرَى كَافِرَةٌ }: المشـركون { يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ.. } فی هـذه الضـمائر بحث طويل، من يرى من؟ هل الكفّار يرون المسلمين أو المسـلمون يرون الكفّار؟ وإحـدى الاحتمالات فی يرونهم: إنّ ضـمير الفاعل يعود إلى المسلمين وضمير المفعول يعود إلى المشركين: {.. رَأْيَ الْعَيْنِ.. }: حيث لم يكن خيالاً ولا توهماً، بل كانت حقيقة واضحة وربما كلمة رأی العين تؤيد هذا الاحتمال الذی ذكرناه، إذ كان المسـلمون فی بدر ثلاثمائة وثلاثة عشـر، والكفّار ألفاً، هذا من ناحية العدد، وأمـا من ناحيـة العُـدّة فالمسـلمون كـانوا مجموعـة مـا يصـطلح عليهم بالحفـاة- بـالمعنى المجـازی للحفاة-، المؤرخون يـذكرون أن المسـلمين الّـذين جاءوا فی قبال هذه الجبهة الكافرة فی بدر كان لهم عدد قليل من الفرسان والبقية كلهم مشاة، والمشـركون كان لهم مائة فرس، والمسـلمون كانت لهم من الدروع- التی توضع للوقاية وتحمی المقاتل- سـتة فقط والبقية جائوا بثيابهم، وسيوف المسلمين ثمانيـة والكفـار مـدججون بالأسـلحة، {.. فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِی سَبِيلِ اللّه.. } اعتمادهم على الله وهـدفهم رضاه وإن لم يكن معهم شـیء من الناحيـة الظاهريـة {.. وَأُخْرَى كَافِرَةٌ.. } فئـة كـافرة بـالله تعـالى {.. يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ.. } ضـعفهم {.. رَأْيَ الْعَيْنِ..} يعنی المسـلمون كـانوا يعلمون أن هؤلاء ضدهم وهم أكثر عددا.

فتارة الفرد لا يعلم عـدد العـدو ولكنّه لو علم قـد ينهار انهياراً، إلا لو اعتمـد على القوة المطلقـة فيرى نفسه المنتصـر لا محالـة، {.. وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ.. } والتأييـد يعنی التقويـة، هـذه الفئـة كانت فئة ضـعيفة ولكن أيدها الله يعنی قوّاها، ضـعّف فی العدد وضـعّف فی العُدّة ولكن ورائهم التأييد الإلهی {.. مَن يَشَاء.. } ولا تكون المشيئة الإلهية عبثاً وإنما تكون لحكمة وفی المحل القابل.

الإعتبار: النظرة الواقعية لأية ظاهرة

{.. إِنَّ فِی ذَلِكَ.. } فی هـذا الإنتصار، إنتصار الفئـة المؤمنـة الضـعيفة على الفئـة الكافرة القويـة {.. لَعِبْرَةً..} والعبرة معناها عدم جمود الفرد على الظاهرة كظاهرة ماديـة بلا روح وإنما ينتقل إلى الروح الكامنـة وراء هـذه الظاهرة، ولذلك يقال للدمع: عبرة لأنه ينتقل من الأجفـان إلى الخـد أو من داخـل العين إلى خـارجه، وكـذلك يقـال للكلام تعبير وعبـارة: لأنه ناقل للمعانی، فالانتقال من ظاهرة إلى مؤداها هو العبرة كما فی مرور أمير المؤمنين عليه السلام على أيوان كسـرى فی المدائن، فقرأ هذه الآية- ليعتبر أصحابه- { كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ } وهـذا الموقـف هو موقف المعتـبر، وأمـا الموقف الآـخر فهو موقف من يـذهب إلى أيوان كسـرى ويرى الظـاهر ويلاحظ علو هذا المكان والهندسة البنائية فيه، وهذه النظرة لا عبرة فيها أبدا.

مثـال آخر: تـارة يرى الفرد جنـازة ميت يأخـذوه للقبر: هـذه نظرة لا عبرة فيها، وتارة يفكر أنا أيضاً فی يوم من الأيام أحمل فی جنازة: هذه نظرة اعتبارية، { إِنَّ فِی ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِی الأَبْصَارِ } الّذين لهم بصر، ولا يراد بالبصـر العين الظاهرية والإبصار الظاهری وإنما يراد به الإبصار بالقلب.

بين الأسباب الغيبية والمعادلات الدنيوية

وقفـة أخيرة على ضوء الآيـات المباركات: ففی بعض الأحيان يبنی الفرد حياته وعمله على المعادلات الماديـة الطبيعيـة، ولكن المؤمن الحقيقی يسلك الطرق الطبيعية ولكنه لا يبنی حياته عليها.

أكثر أنبياء الله سبحانه كانت المعادلات الظاهرية كلها ضدهم، فمن كان نبی الله عيسى؟؟

رجـل لاـ يملـك بيتـا والحكـام الّـذين بيـدهم القـدرة والقوة ضـده ولا مأوى له.. حتى أنّه ذات مرة خاطب الله تعالى قائلًا: يا الله حتى الوحوش لها مأوى تأوی إليه- فی الجبل مثلاً- وأنا لا مأوى لی.

إلا أنّه أصبح الآن يملك قلوب مآت الملايين من النصارى فی العالم من الذين يقدسونه ويتبعونه بل المسـلمون أيضا يكنون له أشـد

احترام ويعتقدون إنّه نبى من أنبياء الله العظام، وهذا هو الأثر الذى تركه فى التاريخ، فالأنبياء لم تكن المعادلات المادية معهم غالباً ولكن {.. وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء.. }.

ولنذكر مثالين من الواقع المعاصر

١- يذكر إن رئيس شركة التبغ فى إيران سئل البعض: كم يملك هذا السيد من الجيوش- ويقصد به المجدد الكبير قائد ثورة التبغ الذى أصدر الفتوى الشهيرة ضد أقوى امبراطورية فى العالم دخلت إيران تحت ستار التبغ- قالوا له: لا يملك جيشاً، هو رجل جالس فى بيته، قال: كم يملك من الثورة، قالوا: لا يملك شيئاً، فقال: إن هذا الرجل لا يمكن مقاومته، لا أموال له ولا جيوش ولكنّه وقف أمام أعظم دولة فى العالم وأجبرها على أن تخرج من إيران.

٢- الشيخ محمد تقى الشيرازى قائد ثورة العشرين لم يكن يملك شيئاً، وكذلك الشعب العراقى لم يكن يملك شيئاً ومورس بحقه أبشع الجرائم الحربية فقد استخدم السلاح الكيماوى لأوّل مرة ضد هذا الشعب- كما قال بعض المؤرخين- ولكنّهم بقوة الإيمان أجبروا الامبراطورية التى سيطرت على الهند حوالى أربعمائة عاماً على الخروج من العراق، والفرق بين البلدين أنه فى الهند لم تكن قوة الإيمان بخلاف الأمر فى العراق، فالفرد فى أموره العامة والشخصية والاجتماعية والسياسية والقضائية عليه أن لا يبنى حياته على المعادلات المادية، وإنّما يجب عليه أن يعرف أيضا أن ورائه قوة هى أكبر قوة فى هذا الوجود، وهذه القوة هى قوة الله التى وعدت بالنصر { إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }.

الآيتان

الآيتان

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ* قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }.

المفردات

الشهوات: المشتهيات كما فى مجمع البيان لا الغريزة، بقرينة تفسيره ب (من البيانية)

البنين: قيل: يشمل الذكور والإناث، فهما إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا، والمعروف أنّه يعنى الأولاد الذكور حسب.

القناطير: جمع قنطار وهو ملء جلد الثور ذهباً.

المقنطرة: المكدسة بعضها فوق البعض الآخر، المنضّدة، المجتمعة.

الخيل المسوّمة: قيل: الخيل المعلّمة، أى التى عليها علامة، وقيل: الخيل المدربة لركوب ميادين القتال.

ذلك: ذا إشارة إلى الشهوات والكاف كاف الخطاب.

متاع: الشيء الذى يُتمتع به ويُستلذ به لمدة مؤقتة، والمتعة تعنى اللذة المؤقتة.

الحياة الدنيا: الحياة القريبة أو الحياة الهابطة الدنية.

حسن المئاب: المرجع والمستقبل الحَسن المضمون.

أنبئكم: النبأ هو الخبر المهم.

التقوى: الكف مع وجود انشداد داخلى نحو الشيء، أى الكف الداخلى والكف العملى.

جنّات: بساتين.

تجرى: فعل مضارع يدل على الاستمرارية.

من تحتها الأنهار: قيل: الأنهار تجرى من تحت الأشجار إلا ـ أنّ الّذى يبدو للنظر أنّ الأنهار تجرى تحت الجنّات والبساتين حقيقة كالبيوت الزجاجية التى يُرى باطنها من ظاهرها.

مطهرّة: خالية عن أية قذارة مادية أو معنوية.

المدخل

الشهوات أهل عامل للكفر

تتناول الآية الأولى موضوع الشهوات، ودورها فى الحياة الدنيا، والمكانة الصحيحة التى ينبغى أن توضع فيها، ولكن قبل أن ندخل فى صلب البحث لا بأس بأن نتوقف قليلًا عند الارتباط بين الآية الكريمة والآيات المتقدمة: فقد تمحورت الآيات المتقدمة حول الكفّار والجبهة الكافرة التى وقفت قِبال الأقليّة المؤمنة، بينما تمحورت هذه الآية الكريمة حول الشهوات.. ولعل الرابطة فيما بينهما أن الشهوات هى إحدى القاعدتين التى تستند إليها جبهة الكفر والإلحاد.. بل لعلها الأهم من هاتين القاعدتين والأخطر منهما.

الشبهات والشهوات

هنا ينتصب السؤال التالى ليقول: ماهى العوامل التى ينشأ منها الكفر؟.

الجواب هناك عاملان رئيسيان:

الأول: العامل الفكرى ويتمثل فى الشبهات.

الثانى: العامل النفسى ويتمثل فى الشهوات.

فقد يكون للشبهات دور محدود فى الكفر بالله، ولكنّ العامل الأهم هو عامل الشهوات، قال تعالى: { بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ }.

لأنّ الفرد عادة ما يحب أن يكون منطلقا.. لا مانع أمامه ولا رادع.. بحيث يحقق جميع مشتهياته فى الحياة الدنيا..

يفجر أمامه: يفعل ما يحلوا له من الفسق والفجور وهو عامل نفسى يدفعه إلى الكفر، بحيث يتساءل قائلُا: أيّان يوم القيامة؟

وبالتالى ينكر المعاد والمبدأ.. والحركات الإلحادية التى غزت مجتمعاتنا كالحركة الشيوعية، كانت تعتمد اعتماداً جزئياً على الشبهات، بينما كانت تعتمد اعتماداً كليا على الشهوات.. والفرد الذى ينتمى إليها تلبى شهواته بأنواعها المختلفة..

وكما فى بروتكلات حكماء صهيون أنّ أفضل وسيلة للحركة اليهودية العالمية كى تنفذ إلى الآخرين خاصّة القادة هى الشهوات، وفى مقدمتها الشهوة الجنسية! ومن هنا تظهر العلقة بين الآية المباركة والآيات المتقدمة، حيث إنها تشير إلى الجذر الأهم الذى تبتنى عليه قضية الكفر بالله وآياته..

الله يزين أم الشيطان؟

الله يزين أم الشيطان؟

وبعد هذا المدخل نأتى إلى ضِلال هذه الآية الكريمة:

<زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ > كلمة زُين فعل مبنى للمجهول يدل على فاعل لم تحدد هويته فى الكلام،.. فمن الذى يزين الشهوات

للناس؟

وعلی سبیل المثال: البیت لو أریـد بیعه: یُزَیّن حتی یبدو بمظهر جمیل کی یباع، وفی الزمن السابق قبل أن تزف المرأة إلی بیت زوجها کانت تأتی الماشطة– المزیّنة– لتزیینها، ومازالت بعض محلّات الحلاقة یکتب علیها(محلات التزیین)..

علی کلٍّ هناک جبهة مجهولة تحبب المشتهیات إلی نفوس الناس، فمن هی هذه الجبهة؟

القول الأول: الشیطان یزین

القول الأول: الشیطان یزین

ذهب بعض المفسـرین إلی أنّ الفاعـل المجهول هو الشـیطان، مسـتدلّین علی ذلـک بقوله تعـالی: {.. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.. }، وفی آیة أخری: {.. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } إذ أنّ التزیین والتجمیل کما هو جلی من فعل الشیطان..

مناقشة هذا القول

ویمکن المناقشة فیه: بأن التزیین علی نوعین:

١: التزیین للأعمـال الطالحـة وهو من الشـیطان.. ویظهر ذلـک فی حیـاة المجرمین وکلمـاتهم، ففی کثیر من الأحیان– کما فی رأیهم– یکـون إجرامهم حسـناً فی رأیهم لمسـخ الفطرة، والآیتـان الکریمتـان تتحـدثان عن تزیین الأعمـال الطالحـة، قـال تعـال: {.. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.. } أو {.. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

٢: التزیین للأمور غیر السیّئة بل الحسنة، وهذا لا یکون من عمل الشیطان.

القول الثانی: الله هو المزین.

ویمکن القول أیضـاً أنّ التزیین من قبـل الله سـبحانه وتعـالی، إذ أن محور السورة ذلک، ویـدل علیه قوله عزّ وجلّ: { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا.. }، فالله عزّ وجلّ جعل القلوب تنشّد علی طبیعتها إلی المزینات من الذهب والنساء، وهو الذی جعل المرأة جمیلة فی نظر الرجل والرجل جمیلًا فی نظر المرأة، قال تعالی: { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا.. }.

فلسفة التزیین

هنا یُطرح سؤال آخر: لماذا کانت عملیة التزیین؟

الإجابة الأولی: الاختبار، فلو لم یکن التزیین لم یتم الاختبار الإلهی.. وحینذاک کیف کان یُمتحن الخلق؟

الإجابـة الثانیـة: لولا التزیین لما کانت الحیاة تبقی وتستمر، فلو لم تکن المرأة الجمیلـة فی نظر الرجل لم ینـدفع إلی تحمّل مسؤولیات الزواج، فالإنسان الأعزب سواء کان رجلًا أم امرأة لا مسؤولیة له، ینام مرتاح البال.. ولکنّه بمجرد أن یتزوج تبدأ المسؤولیات..

ولعل أغلب الرجال لم یکونوا مسـتعدین للزواج لولا الانجـذاب القوی، وکـذلک النسوة ماکن لیتزوجن.. وتشـهد لـذلک قصـة المرأة التی عرَّفها النبیصـلی الله علیه و اله بعض الحقوق الزوجیة، فقالت >: لا تزوجت بعد ذلک أبداً، <فما تعانیه المرأة فی تنشأة الأولاد لا حد له، حیث تبذل مجهوداً عظیماً یشد علی أعصابها وروحها وجسدها.. وحیث یمتص کلّ من الجنین والطفل قواها البدنیة والروحیة..

وبالتالى فإنّ الاندفاع الموجود فى المرأة نحو الإنجاب لوجود هذه الشهوة، ولولاها لم تكن الزوجة مستعدة لهذه التضحية الكبيرة..

ما هى الشهوات؟

تطلق الشـهوة تارة على الغريزة وأخرى على المشـتهيات، ومنها المرأة والأولاد، ويـدل عليه تفسـيره ب: (من البيانية) التى تبيّن ما قبلها، ...

أنواع الشهوات

أولاً: المرأة

أعنف الشهوات.

والسؤال هنا هو: ما هى الشهوات والمشتهيات التى زُيّنت للناس؟

قال تعالى >: من النساء: <أى المرأة، ولعل الوجه فى تقديم شهوة النساء لأنها من أعنف الشهوات فى الحياة البشريّة، وقد أكد علماء النفس هـذه الحقيقـة.. والواقع الخـارجى والتـاريخى يؤكـدان ذلـك أيضـاً، بـل إن ملا-يين الجرائم التى تُرتكب فى كلّ يوم بمختلف أنواعها إنما هى لهذه الشهوة..

ثانيا: البنين

قيمة اقتصادية، سياسية وعسكرية.

>والبنين < أى شهوة الأولاد، ولكن يراد بالبنين خصوص الأولاد الذكور؟

ذهب بعض العلمـاء: إنّ كلمـة البنين تشـمل الـذكور والاناث، لقوله تعالى: { يَا بَنِی آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ.. } حيث لم يقتصـر قوله: (بنى آدم) على الذكور فقط من أولاد آدم، بل شمل الذكور والإناث.

وكما يصـرّح علماء البلاغـة: أن البنين والبنات إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا- كالظرف والجار والمجرور فى مصـطلح النحاة- إلا أن المعروف أنّ كلمة(بنين) تقتصر على الأولاد الذكور.

وإنما خص الأولاد الـذكور بالذكر لما لهم من أهمية فى أنظار الناس، فإنّهم يرون أن للابن قيمة اقتصادية بخلاف البنت حيث لا قيمة اقتصادية لها فى الأنظار.. وكذلك قيمة عسكرية للابن حيث أن البنت لا تحارب، ولكنّ الابن يدخل ميدان القتال ويحارب.. وهكذا.

إذن للابن قيمة اقتصادية واجتماعية وعسـكرية وسياسية متفوقة فى أنظار الناس.. ولا يخفى أنه لا يوجد فرق بلحاظ الكرامة بين الذكر والأنثى لدى الله عزّ وجلّ.. إلا أن الأمر يختلف فى أنظار الناس.. خاصة أن شهوة البنين فيها مسألة الامتداد، ومن طبع الإنسان أنه يحب أن يمتد فى أبنائه..

ثالثا: المال.

{.. وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الـذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.. }: يوجـد اختلاف فى ماهيـة القنطار، إلا أن الخبر المروى عن الإمامين الباقر والصادق:? أن القنطار: ملء مسك ثور ذهباً والمسک هو الجلد الذى يسع عشرات الكيلوات من الذهب والفضة.

المقنطرة: أى المكدسة بعضها فوق البعض الآخر، المنضّدة والمجتمعة.

رابعا: الخيل.

{.. وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ.. }: مازالت الخيل حتى عصرنا الراهن- عالم الآلة- لها موقعية مهمة.. ففى تقرير أن فى الولايات المتحدة فقط ما يقارب عشرة ملايين فرساً.. وهناك هواة للخيل يبذلون أوقاتهم وأعمارهم من أجله.

>الْمُسَوَّمَةِ: < أى المعلّمة بعلامة،.. وذهب البعض إلى أن المراد منها هو المدربة لركوب ميادين القتال.. وقد تشير كلمة الخيل فى الآية الكريمة إلى نحو من أنحاء الارتباط بالقوة.. فإن الخيل فى العهود القديمة تعد مظهراً من مظاهر القوة والسلطة.. فظلاً عن كونها مظهراً من مظاهر الجمال.

خامسا: الأنعام

الإبل والبقر والغنم.

سادساً >: والحرث: <المزارع.

هذه مجموعة من الشهوات التى زُيّنت للناس.

الإسلام والنظرة الوسيطة للشهوات

كيف ننظر إلى هذه الشهوات؟

لم يؤيد الإسلام ما فى النصرانيّة المحرفة من وجوب إلغاء الشهوات خاصة الشهوة الجنسية، حيث يعتبرونها خطيئة.. وليست نظرة الإسلام إلى الشهوات نظرة إلغاء وتحريم. بل يجعلها فى إطارها الصحيح.

الشهوات وضرورة الموازنة بين الحاضر والمستقبل

ولكنّ الخطر الذى تمثله الشهوات إذا خرجت عن مسارها الصحيح- وهو خطر جدى وقائم- أنها تحجب عن المستقبل الذى خلقه الله للإنسان وخلق الإنسان له، فهناك مرحلتان:

١: مرحلة قريبة.

٢: مرحلة بعيدة.

والسؤال هنا: كيف يحجب الحاضر القريب، المستقبل البعيد؟

لكى تتضح الإجابة لا بأس ببيان المثال التالى:

موظف يعيش فى بيت مستأجَر.. يحتاج إلى ضمان لأيام شيخوخته وضعفه: {.. ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً.. }، فقد يستلم راتبه الشهرى ويفكر فى الحاضر، ويصرفه فى ملذاته الحاضرة- كما هو حال الكثير، حيث يصرفون مرتباتهم قبل نهاية الشهر- فهو ممن حجبه الحاضر عن المستقبل..

وهناك موظف آخر يوازن بين الحاضر والمستقبل ويدّخر مقداراً من المال فى المصرف—البنك- ليشترى به بيتاً فى المستقبل أو ليكون له رصيد يكفى لقوت يومه ويمرر به حياته فى أيام ضعفه وشيخوخته..

كذا هى الشهوات، فإن الأغلب ينشغلون بالشهوات الحاضرة وينسون المستقبل.. وقد قيل لأحد العلماء عندما حدثت قضية اجتماعية: ألا تدخل فى هذه المعمعة؟

فتلى قوله تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ.. } أى أحيانا شهوة الرئاسة تستغرقه فيدخل فى معمعة.. وقد قيل: إنّ من يدخل فى النزاع الاجتماعى لا يتقى الله.. لأن الحاضر- يحجبه عن المستقبل فيدخل فى المعمعة حتى النهاية.. بلا حدود ولا ضوابط...

وهكذا فى الشهوات فإنّ الإسلام لا يؤيد إلغاء الشهوة الجنسية ولا سائر الشهوات، بل يدعو إلى الموازنة بين الحاضر والمستقبل..

لذا فإن الآية المباركة كما يظهر منها لا تذم الشهوات ولا تلغيها من واقع الحياة بنحو مطلق.. بل إنها تُصرّح أنّ: { ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. }، وذا فى الآية: إشارة إلى الشهوات والكاف للخطاب، فإن كان المخاطب شخصاً واحداً يقال: ذلك، وإن كانا اثنين يقال: ذلكما كما فى قوله تعالى {.. ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي }، أما فى الجماعة فيقال: ذلكم كما فى الآية الآتية {.. أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ.. }.

الحياة الدنيا متعة

متاع: الشيء الذى يتمتع به ويستلذ به لمدة مؤقتة، والمتعة، اللذة المؤقتة: { ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..} وذلك لأن هنالك حياتين:

الأولى: حياة دنيا قريبة أو هابطة لأنّ هناك مسيرة تكاملية ربما بدأت منذ ألوف الأعوام عندما كنا فى المرحلة الترابية النباتية والنشئات المتقدمة، فالحياة الدنيا هى الحياة القريبة الهابطة الدنية وهناك سُلّم صعودى يصعد الإنسان فيه.

الثانية: الحياة الأبدية العالية التى تبتدء بعد الموت والفناء، والآية تدعو إلى أن لا تحجبنا متعة الحياة الدنيا عن ذلك المئآل والنشأة الأخرى، فإنّه: {.. وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } أى المرجع والمستقبل الحسن المضمون.

اللذات المادية فى الآخرة

{ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم.. } النبأ: هو الخبر.

<بخير ?من ذلكم: < حيث يوجد هناك ما هو أفضل.

<للذين اتقوا < الآية تشير إلى القيد، بأن لا يسير الإنسان مع الشهوات بلا ضوابط، بل يسير ضمن ضوابط وحدود،.. فالمتقون لم يحرموا أنفسهم من شهوات الحياة، ولكن ضمن إطار محدد..

جنات بلا نقص

{.. لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.. }: تحرك الآية الإنسان نحو الآخرة داعية إيّاه إلى المقارنة بين الدنيا والآخرة، فكما فى الدنيا يوجد حرث وأراضى مخصبة، هناك لذّات أفضل.. إذ أن لذّات الدنيا موجودة، فى الآخرة ولكن بنحو أكمل، بعيدة عن النواقص.

<جنات < بساتين: {.. تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.. }

قيل: تجرى الأنهار من تحت أشجارها، ولكن يحتمل أن يكون من تحتها حقيقة كما فى قوله تعالى: {.. صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ.. } كالبيوت الزجاجية التى يُرى باطنها من ظاهرها، وجرى الأنهار من تحت البيوت- وما أروعه من منظر-.. وربما كان المراد أنّ الأنهار تجرى من تحت نفس الجنات.. وتجرى: فعل مضارع يدل على استمرارية جريان الماء.. بخلاف ماء الدنيا الذى قد يجرى أو ينقطع.. ولا يخفى أنّ وجود الماء واستمرار تدفقه مهم جداً، خاصة أنّ العلماء تنبؤا أنّ معركة المستقبل هى معركة الماء.. بل فى زماننا أيضاً الماء يشكل مشكلة عظيمة لكثير من المناطق فى العالم.. أما فى الجنة: {.. جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.. } دائماً.

أعظم النعم الماديّة لأهل الجنة

أعظم النعم الماديّة لأهل الجنة

{.. خَالِدِینَ فِیهَا..}: إنّ الآخرة دار الحیوان والبقاء والاستمرار، بخلاف الدنیا فإنّها إما لا تبقی أو لا یبقی الإنسان فیها.
نُقل أنّ أحـد الملوک صـنع قصـراً مشـیداً عظیماً ثم دعا إلیه الوجهاء، فقال لهم: اذکروا عیوب القصـر، فأدلی کلٌّ بدلوه وأجمعوا علی عدم العیب فیه، سوی رجل من الحاضرین لم یقل شیئاً؛ فقال له الملک: لماذا سکت؟ قال: لأن فی القصر عیبین، قال: وما هما؟
قال: الأول: أنه لا یبقی لک، والثانی: أنک لا تبقی له، وإن بقی هو معک..
أمّا الآخرة ففیهـا نعمـة الخلود، ولا یمکن تصورها أبـداً، فکم یبقی الإنسان فی الجنّـة إن کان من أهل التقوی؟ ملیار عام! ألف ملیار عام؟ کلما یفکر فإنّه لن یصل إلی النهایة.. فهو باق ببقاء الله عزّ وجلّ، ولعل أعظم مصـیبة تحلّ بأهل النار– أن یؤتی بالموت علی هیئة کبش ویُذبـح.. عنـدها یعرف أهل النار أنهم سوف یبقون فی النار خالـدین؛ وربما کانت هذه أعظم مصـیبة علی أهل الجحیم؛. ولعل أعظم نعمـة من النعم المادیـة لأهل الجنـة نعمـة الخلود.. الـذی یبحث عنه البشـر.. الـذی له غریزة الخلود.. ولـذلک یحاول أن یفرّ من الموت بأی طریقة..
وعلی أی حال فهذه الغریزة لا تؤمن فی الحیاة الدنیا.. وإنما تؤمن فی الآخرة حیث یصبح الناس >خالدین فیها.<

أزواج بلا قذارات

>وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ: < لأهل الجنّة بخلاف الدّنیا حیث لا توجد فیها امرأة مطهّرة کاملًا غیر بعض الاستثناءات کالصدیقة الکبری فاطمة الزهراء ?فإنهـا مطهّرة تطهیرا کاملاًـ ولهـا الطهـارة الکاملـة کمـا فی آیـة التطهیر: {.. إِنَّمَا یُرِیـدُ اللَّهُ لِیُـذْهِبَ عَنکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیرًا.. }، ولکن فی الأغلب لا توجد فی هذه الدنیا الطهارة الکاملة بنحو کامل..
ففی الـدنیا تحیـط النواقص الجسدیّـة والنفسیّة بالإنسـان، نعم کلّمـا اقترب الرجـل أو المرأة إلی الإیمـان أکثر کلّمـا اقتربا إلی الطهارة الکاملة، أما فی الجنة >: وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ: < لا توجد فیهن أیة قذارة مادیة کانت أو معنویة.
یقول أحـد العلماء: بما أن البشـر متکبر بطبعه، فقد أرکسه الله تعالی فی القذارات المادیة من قمّة رأسه إلی أخمص قدمیه، فهو مصدر لأکثر من اثنین وعشـرین نوعا من أنواع القـذارات، والعبارة وإن کانت بمقـدار حادة وجارحة إلا أنّها تعبِّر عن واقعیة، وقد أشار الإمام أمیر المؤمنین ?إلی ذلک فی قوله >: مسکین ابن آدم.. وتنتنه العرقة.<

النّعم المعنویة

علاوة علی وجود النّعم المادیّة فی الجنّة هناک نّعم معنویّة، عابرة: ففی نّعم الجنّة هناک نظریتان:
الأولی: تذهب إلی أن نّعیم الجنّة مادی محض، ولعل أغلب النّاس یتصورون ذلک، وقد ردّ أحد العلماء علی ذلک فقال:
صوروها مرتعاً للشهوات وحشوها بجمیع المغریات
وادّعوها لیلة حمراء فیها تستفیق الشهوات
الثانیة: ذهب إلیها بعض العرفاء والفلاسفة: إنّ نّعیم الجنّة نّعیم معنوی محض، ولا یوجد نعیم مادی فی الجنة.
ولکن کلتا النظریتین تخالفان القرآن الکریم حیث تؤکـد الآیات المبارکـة والأحادیث الشـریفة وجود النوعین: فالنعم المادیـة: جنات، أنهار، أزواج مطهرة، والأخیرة من أعظم اللذائذ المادیة کما فی روایة فی الکافی الشـریف. وأمّا النّعم المعنویّة: فقمتها > وَرِضْوَانٌ مِّنَ

اللّهِ.>

یُنقل أنّ الشیخ محمد طه نجف ?وهو أحد المراجع، کانت له أسئلة تؤرق باله لأعوام طویلة، منها: هل أنّ الله عزّ وجلّ راض عنه أو لا؟ وهل أنّ النّبی الأعظمصلی الله علیه و اله راض عنه أو لا؟ وهل أن الإمام الحجّة المنتظر عجلّ الله تعالی فرجّه الشریف راض عنه أو لا؟

وکان لسنوات یتوسل بأمیر المؤمنین ?لیعرف الجواب- حیث إنّ معرفة رضوان الله أهم الأمور علی الإطلاق.. وشعور الإنسان بأنّ الله تعالی راض عنه من أعظم اللّذائذ المعنویّة فی الجنّة، لذا قال الله عزّ وجلّ: {.. وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } وبعد التوسل الدائم رأی شخصا- لعله کان الإمام الحجة عجل الله تعالی فرجه الشریف حسب بعض القرائن- وقال له: أنت مرضی عندنا..

.. >وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ: < ربما کان المراد من الآیة التحذیر، حیث ورد فیها >: للّذین اتقوا < وبما أن الخوف من الله والتقوی أمر غیر ظاهر ذُکِر ضمن الآیة أنّ الله: بصیر وخبیر، ناظر وحاضر، لذا ینبغی للإنسان أن لا یتبع الشهوات بل علیه أن یؤطر نفسه بحدود، فعندما یقع تحت ضغوط الشهوة والمجتمع والأصدقاء، علیه أن یتذکّر الله تعالی لیجبر الضعف الموجود فیه، لأنّ الالتفات إلی أن الله تعالی ناظر یجعل الإنسان قویاً فی مواقفه ومتقیاً فی أعماله.

الآیتان

الآیتان

{ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ }.

المفردات

آمنّا: صدقنا بما أنزلت وما بعثت من رسول.

فاغفر لنا: اصفح عنا.

الصابرین: الصبر حبس وتملک النفس وحفظ الذات.

الصادقین: الذین یطابق قولهم الواقع، والکلمة لها عمومیة حیث تشمل: الصدق فی النیّة والعمل واللهجة والکلمة.

القانتین: القنوت هو الخضوع والتسلیم، أی القبول النفسی والعملی، وبعبارة واضحة: حالة من الإنقیاد الباطنی لله تعالی والنّبیصلی الله علیه و اله والدِّین.

المنفقین: نفق الشیء مضی ونفد، والمراد الباذلین لأموالهم فی سبیل الله غایة البذل.

المستغفرین: الاستغفار: طلب المغفرة من الله تعالی.

بالأسحار: مادة > س ح ر < فی اللغة: الخفاء والتغطیة، ویقال لفترة قبل طلوع الفجر: السحر لأنّ الظلام یعمّ الکون کلّه ویخفی فیها حال الفرد علی الآخرین لأنّ الناس نائمون، والسحر فقهاً: الثلث الأخیر من اللیل، وفی روایة المستغفرین بالأسحار: من یُصلّون صلاة اللیل.

الإعراب

الّذین یقولون: قد تکون هذه الکلمة فی محلّ خفض صفة لکلمة > بالعباد، < أو فی محلّ خفض صفة لکلمة >: للّذین اتقوا < إلا أن الأقرب لسیاق الآیة الاحتمال الثانی، حیث للمتقین قاعدة تبتنی علیها التقوی وهی الإیمان.

التفسیرالمدخل

منشأ التقوی وقاعدتها

سؤالان مهمان:

الأول: ماهی القاعدة التی تبتنی علیها صفة التقوی؟

الثانی: ما هی صفات المتقین؟

تتکفل الآیة الأوُلی الإجابة علی السؤال الأوّل، فإن التقوی حالة من الکفّ الداخلی والعملی، ومفهوم الکفّ لا یتحقق إلا مع وجود الإنشداد الباطنی نحو الشیء، وأمّا مع عدم النفس والإنشداد لها فلا یقال له: کفّ نفسه، إذ أن الکفّ یکون إذا کانت للشیء جاذبیّة، ومالت النفس إلیه واندفعت نحوه، و الکفّ لا یأتی من فراغ بل یحتاج إلی قاعدة ورادع یبتنی علیهما، یقول الشاعر:

والظلم من شیم النفوس فإن تجد ذا عفّة فلعلّه لا یظلم

نعم إن النفوس تمیل إلی الظلم، فالحاکم یمیل إلی الظلم، وکذا الأب فی العائلة، فالطبیعة لدیهم طبیعة الظلم، ولکن قد یردعهم رادع من الظلم، والرادع یتنوع إلی نوعین:

الأول: الرادع الخارجی.

الثانی: الرادع الباطنی.

أمّا الأوّل فهو محدود الأثر، وهو یؤثر فی بعض الأفراد، وفی بعض الظروف، وفی بعض المحظورات، ولا توجد فیه صفة العمومیة، أما الرادع الباطنی المتمثل فی الإیمان بالله سبحانه وتعالی، فهو الرادع الوحید الذی یمکن أن تبتنی علیه مَلکة التقوی.

المنع من الخمر بین الرادع الخارجی والرادع الداخلی

التفتت إحدی الحکومات الغربیة الکافرة فی عهد ماضی، إلی أنّ مضار شرب الخمر الفتک بالفرد والعائلة والمجتمع والروح والبدن، ففکر عقلائهم أن یمنعوه، فدخلت فی میدان محاربة الخمر بکل قواها علماً أنّها کانت تملک إمکانات هائلة، لا تحد- من الأموال والشرطة والجیش والمعتقلات والإعلام-، ولکنّ النتیجة کما ینقل المؤرخون >: أنّ کلّ ذلک لم یُجد نفعاً، وکأن الجهود لم تکن، لأن الأفراد کانوا یتحدون القانون ویقفون أمامه، فقد یوفق القانون من منع الناس عن شرب الخمر فی الشارع، ولکن لا یمکن أن یمنع ذلک فی البیت.<

ویظهر الفرق الشاسع بین الرادعین- الداخلی والخارجی- لو قارنا ذلک بما نقله المؤرخون من أن آیة تحریم الخمر لما نزلت وهی لا تتعدی السطر الواحد: {.. إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَیْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّیْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ >.. }: جرت سکک المدینة بأنهار من الخمور <حیث أخذ المسلمون الخمور وأراقوها کلها.. والحال أن شرب الخمر لدی حدیثی الإسلام کان کشرب الماء، وکما أن بیوت الغربیین ملیئة بالخمور، کذلک بیوت المشرکین کانت ملیئة بالخمور، حیث کانت الخمور فی کل بیت تقریباً، فذاک هو الرادع الخارجی وهذا هو الرادع الداخلی الذی یتمثل فی الإیمان.

المنع من التدخین بین الرادعین

هناک نموذج آخر: وهو أن دول العالم الیوم تبذل الکثیر من الأموال والجهود والطاقات لمحاربة التدخین، ولعلّ جمیع إعلانات التدخین تحتوی علی تحذیر بمختلف اللغات، وفی القنوات الفضائیة والتلفاز والإذاعات والصحف تحذیرات بأن >: التدخین مضر بالصحة، <وقد منعت بعض البلاد التدخین فی الأماکن العامّة، إلا أن ظاهرة التدخین فی إتساع مستمر.

ویکفی أن نقارن ذلک بما یفعله الإیمان فی الأفراد لکفّ النفس عن الشهوات-.. فقد کتب المجدد الشیرازی ?الذی کان من مراجع التقلید العظام، سطراً واحداً أو سطرین فی قضیة التنباک- ترجمته >-: بسم الله الرحمن الرحیم: استعمال التبغ فی هذا الیوم بأی نحو من الأنحاء فی حکم محاربة الإمام المهدی المنتظر(عجل الله تعالی فرجه الشریف، <> وإذا بالأمّة تمتنع عن التدخین حتی فی قصور شاه- ملک – إیران، حیث خدم الشاه؟ کسروا کلّ آلة(النرکیلة) یُشرب بها التبغ فی قصوره.

ویذکر المؤرخون: أن الشاه طلب من زوجته إتیانه بآلة شرب التبغ (النرکیلة)- حیث کان مدخنا-، فقالت له: إن التدخین حرام. فقال: ومن الذی حرّم التدخین؟ قالت: الذی أحلّنی لک! أی الله عزّ وجلّ حرّم التدخین.

وعلی أثر هذه المقاطعة الشاملة، إضطرت تلک الامبراطوریة العظمی التی لا تغرب عنها الشمس، أن تنسحب من إیران...

إذاً الآیة المبارکة تبین القاعدة التی تبتنی علیها صفة التقوی، ولکن هذه التقوی کیف تحصل؟ وعند من؟ ذلک ما تبینه الآیة مشیرة إلی أنّ الامتناع یحصل ل > الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا < هؤلاء هم المتقون، وعلیه فإنّ کلمة >: الّذین یقولون < تکون فی محل خفض صفة لقوله تعالی >: للّذین اتقوا < لا فی محل خفض صفة لکلمة > بالعباد، < وبعبارة أخری أنّ سیاق الآیة یوحی بأنّها صفة > للّذین اتقوا، < ویتضح الأمر أکثر لو أعدنا قراءة الآیة المتقدمة: { قُلْ أَؤُنَبِّئُکُم بِخَیْرٍ مِّن ذَلِکُمْ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِی مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِینَ فِیهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللّهُ بَصِیرٌ بِالْعِبَادِ* الَّذِینَ یَقُولُونَ.. }، فإنّ جوّ الآیة بعید عن إضافة >بالعباد <بکلمة الّذین، والقریب إلی سیاق الآیة أن تکون صفة >للّذین اتقوا < لأن الحدیث فی الآیات حول المتقین، والّذین یمتنعون عن الاندفاع مع الشهوات الطائشة، وهم المتقون.

{.. الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا.. }.

وهنا قد یطرح سؤال وهو: بماذا یؤمن المؤمنون؟ والجواب: آمنا بک ... آمنا بکتابک ... آمنا بوعدک ووعیدک، بما أنّ حذف المتعلَق یفید العموم، فالإیمان شامل لکلّ ما ذکرناه.

هل المتقون یرتکبون المعصیّة؟

هل أنّ الإیمان بالله سبحانه وتعالی یساوی العصمة من الذنب؟

الجواب: إن الخط العام للمتقین هو الاستقامّة فی جادة الشرع، وهو لا ینافی أن یقترفوا بعض اللمم، بشرط أن لا یکون ذلک خطه العام، فإنّ من یرتکب کل یوم عشرین ذنباً لا یعد متقیاً.

وعلی سبیل المثال من یصمّم أن لا یسمع الغناء فی حیاته ولکن قد یمیل لغفلة وضعف إلی الغناء لحظات فقط، کما لو جلس فی سیارة أجرة وسمع صوت الغناء، وکأن یصمّم أن لا ینظر إلی امرأة أجنبیة؛ ولکن فی لحظة ضعف وفی لحظة عشوة کما فی الآیة المبارکة: { وَمَن یَعْشُ عَن ذِکْرِ الرَّحْمَنِ.. } ربما ینظر ثانیة بنظرة متعمدة إلی امرأة أجنبیة- والاستثناء فی المعصومین وأولیاء الله الکبار الّذین لا یعصون بل ولا یفکرون فی الذنب البتة- أمّا المتقی العادی ربما یعصی إلا أن الفرق بین واجد ملکة التقوی وفاقدها هو أنّ المتقی یعود إلی ذاته وإلی ربّه ویستغفر بخلاف من لا- یملک ملکة التقوی ولیس له إیمان حقیقی فإنه یمر علی الذنوب والمعاصی بلا- اکتراث، ف { الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }: فی حالة یقظة المؤمنین، ولو کان لهم ذنوب یطلبون من الله سبحانه أن یغفرها ویعودون إلی أنفسهم.

فقد یخرج الإنسان خلال البحث عن طوره ویحتدّ، أو یحتدّ الرجل فی بیته مع زوجته، أو أنّه لمّا یدخل بیته یری ابنه یؤذی، فیفقد إتزانه ویحمل علیه ویضربه تشفیاً ... قد یتفق هکذا أمر لمؤمن أو متقی فی حیاته مرة واحدة، ولکنّه فوراً یعود إلی ذاته ویستغفر الله سبحانه وتعالی.

ینقل أنّ أحد التلامذة تطاول علی السید البروجردی ?خلال البحث، فغضب السید البروجردی واحتدّ معه، ولکنّه بعد لحظات قال له: یا فلان لقد کلفتنی صیام عام کامل، وذلک لأنه کان ناذرا أن یصوم عاماً کاملاً لو إحتد مع شخص!

بالطبع باستثناء العیدین وصوم شهر رمضان لکونه واجباً- وبالفعل صام السید البروجردی ?بعد هذه القضیة عاماً کاملاً!!.

{.. فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا.. }: تشیر الآیة إلی حالة المؤمنین، فهم یشعرون بالمسؤولیة تجاه أعمالهم، ویحذرون عاقبة الذنوب التی قد تسوقهم إلی نار جهنّم.

{.. فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا.. }: اصفح عنّا.

{.. وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }: کأنهم یطلبون من الله سبحانه وتعالی المغفرة والوقایة لقاء إیمانهم وتصدیقهم.

تجلیّات الإیمان فی الحیاة العملیة

أما الآیة الثانیة فهی تجیب علی السؤال الثانی من خلال ذکر مجموعة من صفات المتقین، فقد قال تعالی: { الصَّابِرِینَ وَالصَّادِقِینَ وَالْقَانِتِینَ وَالْمُنفِقِینَ وَالْمُسْتَغْفِرِینَ بِالأَسْحَارِ } هذه خمس صفات للمتقین، ویمکن القول بأنّها >: تجلیات الإیمان فی الحیاة العملیة.<

صفات المتقین

۱. لا تقوی بدون صبر

الصفة الأولی: التقوی تحتاج إلی صبر، لأنّها تمثل نوعاً من التعهد والالتزام أمام الله سبحانه وتعالی، والالتزام یحتاج إلی صبر، وهو: حالة حبس النفس ... فلو ترکت سیارة فی منحدر جبلی، فإنّها لا تحتاج إلی وقود بل تنطلق، ولکن إن لم یکن للسیارة کابح، فإنها تهوی فی الوادی، بینما لو کان لها کابح فهو یکبحها ویحول دون سقوطها. کذا هی الشهوات، فالشاب غیر المتزوج لدیه حالة من هیجان الشهوة وعادة ما تمضی علیه أیام وأشهر علی ذلک، لذا فهو یعانی من اندفاعة طائشة نحو إرواء الشهوة، ورد فی التاریخ: أنّ حاکماً مرّ علی بیت فوجد هاتفاً من داخل البیت یقرأ الأبیات التالیة: - والشاهد فی البیت الثانی-:

تطاول هذا اللیل واسود جانبه ولیس إلی جنبی خلیل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشی عواقبه لزعزع من هذا السریر جوانبه

ومثل هذا الشاب کالضمئان المتلهف إلی الماء لو وجد الماء أمامه- کما فی قضیة أصحاب طالوت- خاصة لو عاش الشاب فی أجواء المهیجات کجامعة مختلطة، فإنّه لا یمکنه أن یحفظ صفة التقوی إلا بالصبر.

وهناک مثال آخر للصبر وهو مثال: الذین عاشوا المعتقلات کمعتقلات البعثیین- وحیث لا یمکن تصور العناء الّذی عانوه إلا بمقدار ما نقرأه من مذکراتهم- حیث یعلّق المعتقل من قدمیه بالمروحة السقفیة مدة ثلاثة أیّام.

وقد نقل أن أحد المعتقلین- فی سجون صدّام- کان صامداً رغم کلّ أنواع التعذیب، فتعجب أحدهم من صموده، وتساءل منه قائلاً: من الّذی یُصبرک؟

إذاً الصبر هو أن یعزم الإنسان علی التحمل وحفظ ذاته، وهی أوّل صفة تحتاجها للوصول إلی التقوی...

۲- الصدق طریق التقوی

الصفة الثانیة >والصادقین: <هناک تأکید شدید فی القرآن الکریم علی صفة الصدق، حیث شدد الباری تعالی علیه فی قوله: { إِنَّمَا یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لاَ یُؤْمِنُونَ.. } فمن یکذب لا إیمان له، ففی بعض المجتمعات یعدّ الکذب من الصفات البشعة، بحیث إنّ الحاکم إن ارتکب جریمة وکذب للتخفی علیها یقولون: لقد ارتکب جریمة، والأبشع منها محاولته التستر علیها، وکذبه علی شعبه، وربما کانت حالة- التنفر من الکذب- جدیدة فی المجتمعات غیر الإسلامیة.

والسؤال هنا هو: لماذا ذکرت صفة عدم الکذب فی جملة صفات المتقین؟ وماذا یفعل الفرد لو عاش فی مجتمع یهدد الصدق مصالحة؟

نقل أحد المؤمنین القضیة التالیة قال: أردت أن أعمل عند رجل یعمل فی السوق– فی عاصمة دولة إسلامیة– ولمّا دخلت علیه قال: أرید أن أذکر لک کیفیة سیر العمل: الله ... الدّین ... الأخلاق ... حق ولکن مکانها المسجد والبیت، أمّا هنا فلا وجود لله أو الدّین أو الأخلاق!!

ولذا ورد فی الأحادیث الشریفة إنّ > التاجر فاجر مالم ینفقه فی الدین.<..

فمن یعیش فی السوق لاـ یمکنه حفظ تقواه غالباً، فلمّا یسأل المشتری عن قیمة البضاعة لو أجابه بالقیمة الواقعیة یخسر– کما یظن البایع–، ولکن لیس الأمر کذلک. لأنّ الله تعالی یقول: {.. وَمَن یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَیَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لَا یَحْتَسِبُ.. }، لأن المتقی یربح علی المدی البعید أضعاف ما قد یخسره لفترة وجیزة.

إذاً لا یکون المتقی متقیاً إلا بالصدق.. الجدیر بالذکر أنّ البعض یری أنّ کلمة >الصادقین <لها عمومیة بحیث تشمل:

١– الصدق فی النیّة.

٢– الصدق فی القول.

٣– الصدق فی العمل.

أما الصدق فی النیّة: ففی الحدیث أن النّبیصلی الله علیه و اله قال >: فاسألوا الله بنیات صادقة.<

فقد یذهب الشخص إلی الجامعة بنیّة صادقة وأخری تکون نیّته کاذبة، فمن أراد أن یکون طبیباً بنیّة صادقة ینبغی له أن یسلک هذا الخط إلی أن یتخرج، کذا هو رجل الدّین ... علیه أن یمشی فی خط الاجتهاد، إلی أن یصبح مجتهداً ولکن بشرط النیّة الثابتة، أمّا المتزلزل فإن نیّته لیس فیها صدق.

أمّا الصدق فی القول: فهو أن یکون الفرد صادق اللهجة لا یکذب أبداً کما ورد عن الرسول الأعظمصلی الله علیه و اله فی مدح أبی ذر قال >: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علی ذی لهجة أصدق من أبی ذر.<

وأمّا الصدق فی العمل: فتشیر إلیه الآیة المبارکة: { مِنَ الْمُؤْمِنِینَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَیْهِ..}.

وعلی أیة حال سواء کان للصدق فی الآیة المبارکة معنی عاماً شاملاً أو لم یکن فإنّها تشمل الصدق فی اللهجة والکلمة بما لا یخفی. بالطبع لیس من الهیّن أن یکون الإنسان صادقاً، فعالم الدّین عندما یسأل ولیست لدیه إحاطة کاملة، أو طبیب یراجعه المریض ولیست له تلک الإحاطة الکاملة– وذلک لأن فروع العلم لا تتناهی حقیقة علی نحو اللاتناهی الحقیقی– هنا یکمن الإمتحان، فعلی رجل الدّین أن یصدق ویقول: لا أعرف، وکذلک علی الطبیب أن یصدق ویقول: لا أعرف ویحوّل المریض إلی طبیب آخر، وهذا شرط أساسی فی صفة التقوی.

٣– القبول النفسی والعملی.

>والقانتین: < ذکرت لهذه الکلمة تفاسیر متعددة منها:

١. الطاعة.

٢. دوام الطاعة.

٣. الخضوع.

۴. الخضوع والطاعة.

والظاهر: إنّ المراد من القنوت >: الخضوع والتسلیم < أی القبول النفسی والعملی.

فقد يقصد المريض طبيب ويذعن بأنّه طبيب فهيم يريد إرشاده إلى ما فيه مصلحة، فإن نهاه عن طعام معيّن أو عن الذهاب إلى طقس خاص، يقبل المريض كلامه نفسياً وعملياً.

وقد يقصد من لا يقر بفهمه ولا يعتقد بكونه طبيباً، آنذاك كل ما يقوله الطبيب لا أثر له...

كذا الحال فى قضايا الدين، إذ أن بعض الأفراد خاصة بعض الشباب المتجدد!! لا توجد لديهم حالة الخضوع للدّين، علماً أنّ الله تعالى يعبّر عن ذلك بقوله: { أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ }.

بل إنّ البعض لديه حالة العلو أمام الدّين؛ فيقول: لم هذا الحكم؟ لماذا شُرّع هذا التشريع؟ فيكرر المقولة الموجودة فى التاريخ التى كانت ولا تزال شعار مجموعة من الناس >: قال الله وأقول أنا، < وقد نقل فى التاريخ كثيراً من الاجتهادات فى قبال النص، منها:

١ ـ إن النبيصلى الله عليه و اله صام وأفطر ولكنّ النّاس ومن جملتهم بعض الصحابة صاموا ولم يفطروا، وهى مخالفة صريحة لنبيّهم إذ اجتهدوا فى قبل فعل النبيصلى الله عليه و اله، ونحن هنا نخاطبهم فنقول لهم: من الّذى أوجب الصوم أيها الصحابة؟ أليس النبيصلى الله عليه و اله الّذى أوجب الصوم هو نفسه الّذى حرمه؟ وهل أنّكم تعترفون بنبوته أو لا؟

على كلّ هذا منطق القوم: قال النبى ونقول! إذ أنّ كثيراً من أصحاب النبيصلى الله عليه و اله لم تكن لديهم حالة الخضوع للدّين وللنبيصلى الله عليه و اله، وقد قال النبيصلى الله عليه و اله عنهم >: أولئك العصاة، اولئك العصاة، اولئك العصاة، إلى يوم القيامة.<

٢- النبيصلى الله عليه و اله شرَّع متعة الحج بين عمرة التمتع وحج التمتع، فجاء ذلك الرجل معترضا عليه وقال: أنُحرم وكذا يقطر كذا!! وقد ذكر عبارة لا تليق أن تذكر فى محضر عادى فكيف أمام النبى الأعظمصلى الله عليه و اله، فقال له النبيصلى الله عليه و اله: إنّك لن تؤمن بهذا أبداً، وفعلاً هذه القضية بقيت فى قلبه إلى أن استولى على الحكم، فقال: النبيصلى الله عليه و اله حلل متعة الحج وأنا أحرمهما!!<

>قال النبى وأقول أنا!! < ذلك النص وهذا الاجتهاد...

إذاً التقوى تحتاج إلى حالة الخضوع ليُقبل الإنسان على الله مسلماً خاضعاً، فإن لم تكن للفرد حالة القنوت والخضوع لله وللدّين لا يمكنه أن يمشى فى الإطار الشرعى، ولا ينال ملكة التقوى.

وبذلك تكون الاحتمالات فى القنوت هى:

الأول: القنوت هو الخضوع.

الثانى: القنوت هو الطاعة: ولعلّه كان من باب وضع المعلوم أمام العلّة، يعنى حالة الخضوع تنتهى إلى الطاعة ودوامها وفى العلاقة المجازيّة- فى علم البلاغة- أحياناً يعبّر بالعلّة عن المعلول وأحياناً بالمعلول عن العلّة وأحياناً بأحد المتلازمين عن الآخر.

ولعلّ جميع المعانى تؤدى إلى المعنى التالى: حالة الانقياد الباطنى لله والنبيصلى الله عليه و اله والدّين.

۴- الصلة الوثيقة بين التقوى والإنفاق

۴- الصلة الوثيقة بين التقوى والإنفاق

الصفة الرابعة: الإنفاق، قال الله تعال >: والمنفقين.<

وفى الإنفاق مبحاث متعددة:

١ ـ أنوع الإنفاق.

٢ ـ كيفية الإنفاق.

۳- المنفق علیهم، لا نرید الخوض فی هذه المباحث لکن نشیر إلی نقطة واحدة، وهی العلاقة بین صفة الإنفاق والتقوی، حیث وردت هذه الصفة ضمن الحدیث عن المتقین، فیبدوا من ذلک وجود علاقة وثیقة بین التقوی والإنفاق، ویمکن أن نقرر العلاقة علی النحو التالی:

کثیر من الواجبات والوظائف الشرعیة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالإنفاق، والّذی لا توجد عنده حالة الإنفاق بل له حالة البخل والإمساک، لا یمکن أن یتحلی بهذه الصفات، قال تعالی: { وَمَن یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }، وعلی سبیل المثال:

۱- الخمس

من الوظائف الشرعیّة المالیّة، وقد ورد ذکره فی القرآن الکریم، ومعناه أن یدفع الإنسان عشرین بالمائة من أمواله لله سبحانه وتعالی_ إن توفرت الشروط الشرعیّة المذکورة فی الفقه-، وهو أمر صعب، فالفقیر الذی یملک مائة دینار یجب أن یدفع منها عشرین دیناراً والحال أن الشیطان یُلقی إلیه أنّک تفقد عشرین بالمائة من أموالک دفعة واحده وأنت بحاجة إلیها! وکذا هو التاجر الذی له مائة ملیار، فإنّ الوظیفة الشرعیة تقتضی أن یدفع عشرین ملیاراً دفعة واحدة.. فهذه وظیفة شرعیة مالیّة.

۲- الزکاة المفروضة

وهی تتعلق بالذهب والفضة والحنطة والشعیر والتمر والزبیب والبقر والغنم والإبل، علی التفصیل المذکور فی الکتب الفقهیة، وکثیر من النّاس لا یؤدون هذه الفریضة.

۳- الدیون

التی یستثقل الکثیر أدائها لوجود التسامح فیها عند کثیر من الأفراد، کالمهر المؤجل للزوجة الذی یعیّن عند العقد، فإنّ الزوجة عندما تطالب به الرجل وهو قادر علیه لا ـ لا یدفعه إلیها وهو حقها!، وغالباً ما تکون المرأة ضعیفة لا حول لها ولا قوة، وقد نقل لی أنّ فی بعض البلاد المرأة تُهَدَد بالضرب أو تُضرَب إن طالبت بمهرها المؤجل، لذا فهی لا تفکر أبداً فیه؛ مع إنّه حق من الحقوق المالیة..

۴- الإنفاق علی العمودین

- الآباء والأمهات- وفی بعض الظروف الفقهیة الإنفاق علی الأولاد...

۵- الأمور المالیة التی تقع فی ذمة المکلف بالعرض لا بالأصالة کالکفّارات وغیرها کما هو مدوّن فی الفقه، فمن لا یملک حالة الإنفاق لا یمکنه أن یقوم بهذه الحقوق المالیة.

۶- ما ذکرناه من الوظائف الشرعیة المالیة قد تکون هینة بالنسبة إلی من اقتضت وظیفته الشرعیّة أن یُخرِج من کل أمواله- فی بعض الحالات النادرة- لکون ما اکتسبه أجمعه حرام!! ولکن هل یمکن للفرد أن یتخلی عن جمیع أمواله؟!!

ینقل أنّ رجلاً ـ کان یملک أراضی کبیرة کلها کانت محرمة، ولکنّه فی لحظة یقظة ضمیر قرر أن یتخلی عنها جمیعا فتخلی عنها وذهب إلی فلاح وعمل لدیه کعامل بأجرة!.

وینقل أنّ والیاً من ولاة بنی أمیة فی لحظة واحدة تخلی عن جمیع أمواله – لأنها جمیعاً أو کثیر منها کانت محرّمة! والإمام الصادق؟ ضمن له الجنّة.

وبالتالی هناک علاقة وثیقة بین کون الفرد متقیاً والإنفاق، ولعلّ ذِکر کلمة >: والمنفقین < فی سیاق الآیة یعود إلی الارتباط الوثیق بین التقوی وصفة الإنفاق.

أهمیة السَحَرِ ومکانته

أهمیة السَحَرِ ومکانته

الصفة الأخیرة فی هذه المجموعة >: والمستغفرین بالأسحار، < وفی هذه الجملة توجد عدة مباحث:

المبحث الأول: السحر فی اللغة

الأسحار جمع سحر، وفی اللغة السحر یدل علی الخفاء والتغطیة، مثل کلمة سِحْرٌ، یقال للساحِر: ساحِر لأنه یقوم بأعمال خفیة: فتارة یقع الشخص فی الفراش مریضاً! وقد یحدث خلاف شدید بین زوج وزوجته بحیث {.. یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ.. } والعامل وراء ذلک عامل خفی، ولذلک یقال له سِحر.

والسَحَر: إنما سمی بالسَحَر، لخفاءه، فعندما یعم الظلام الکونَ وتنام العیون وتهدء النفوس، لا تری ولا تشاهد الأعمال، ویخفی الفرد بحالاته علی الآخرین.

المبحث الثانی: وقت السحر

السَحَر کما یقول الفقهاء: هو الثلث الأخیر من اللیل، وأفضل أوقاته السُدُس الأخیر من اللیل، أی النصف الثانی من الثلث الثالث، والأفضل منه کلمّا کان أقرب من الفجر، – کما یقوله بعض العلماء –.

المبحث الثالث: مزایا وقت السحر

الحکمة الکامنة وراء التأکید علی هذا الوقت: هی أنّ لهذا الوقت خصوصیات معینة، منها:

أولاً ـ تمحض العمل لله سبحانه أکثر، فلا یوجد من یراقب الانطلاق بین العبد وربّه، فما أکثر من یقوم اللیل لأعوام کثیرة من غیر أن یطلع علیه حتی أهله.

ثانیاً: توجد حالة من الحدود فی ذلک الوقت، فالإنسان یعیش فی النهار خضمّ الحیاة وینشغل بها – فیکون – فکره مشوش بالمشاغل المتعددة، ولکنّه فی وقت السحر: حیث لا یوجد ما یشغله، یکون الإشراق الروحی فی السحر أکثر عادة، وقیل: إنّ بعض العلماء کان یخصص وقت السحر لحل المعادلات والمشکلات العلمیة، ففی هذا الوقت یکون التوجه العقلی، والروحی والفکری أکثر بکثیر؛ ولعل لهذه الجهات ولجهات أخری أکِدَ فی القرآن الکریم والأحادیث الشریفة فیها علی وقت السحر.

المبحث الرابع: وقفة لمراجعة الماضی

لماذا ذکرت صفة > المستغفرین بالأسحار < فی سیاق صفات المتقین؟
بین فترة وأخرى یحتاج الفرد إلی جرد أعماله، کالتجار فإنّهم فی کل عام أو شهر لهم جرد یرون فیه النتیجة من الأرباح والخسائر، وعلی ضوء مسیرة الماضی یرسمون خریطة للمستقبل، ولکن المؤمن عنده جرد کل یوم، قال الله تعالی >: والمستغفرین بالأسحار< فمن یعیش فی خضم وتیار ربما لا یلتفت إلی أعماله، فقد یجلس الإنسان مع أصدقائه ولا یعلم ماذا قال وماذا قیل له، ولکن هناک وقت للجرد، وهو السحر، حیث یستیقظ المؤمن فی السحر ویفکر ماذا فعل؟ ویتذکّر أفعاله ویستغفر الله سبحانه.
فالسَحَر: وقفة لمراجعة الماضی: وتکون المحاسبة فی کلّ یوم وعلی ضوء مافعل یعیّن المستقبل: والجرد أمر مهم جداً فی تحصیل صفة التقوی، إذ مع وجود المراجعة والمراقبة تقل المعاصی والنواقص والذنوب، وهذه ضمانة قویّة لصفة التقوی فی المؤمن.

تفسیرات الاستغفار

۱- بعض الروایات فسرت >والمستغفرین بالأسحار < ب: صلاة اللیل وکذلک مطلق الصلاة، فعن الإمام الصادق: ?أنّه فسّر الاستغفار بالأسحَار: المصلین وقت السحر.
۲- بعض الروایات فسّرته بنفس الاستغفار وطلب المغفرة من الله عزّ وجلّ، ففی تفسیر نور الثقلین عن الإمام الصادق >: ?إنّ من استغفر الله سبعین مرة فی وقت السحر فهو من أهل هذه الآیة.<
ولا تنافی بین التفسیرین فإنّ نفس الصلاة تمثل نوعاً من الاستغفار وطلب المغفرة أو أنّها تحتوی علی الاستغفار أو أنها تلازم الاستغفار.

روایات فی نافلة اللیل

ونختم الکلام ببعض الروایات حول نافلة اللیل أو قیام اللیل:

علامة الشیعی

۱- عن الامام الصدق >: ?لیس من شیعتنا من لم یصلّ صلاة اللیل<

نوم اللیل والفقر فی الآخرة

۲- عن جابر بن عبد الله الأنصاری ?قال: قال رسول اللهصلی الله علیه و اله >: قالت أم سلیمان بن داود لسلیمان: ?یا نبی الله إیاک وکثرة النوم باللیل فإنّ کثرة النوم باللیل تدع الرجل فقیراً یوم القیامة.<
فالتاجر الذی لم یتجر فی وقت التجارة یصبح فقیراً فی مستقبل أیامه، والرجل الذی لم یعد لشیخوخته ولم یدخر شیئاً لوقت حاجته، یضلّ محتاجاً فقیراً فی کبره، وکذلک کثرة النوم باللیل تدع الرجل فقیراً یوم القیامة لا یملک شیئاً حیث إنّه لم یمهد لآخرته.

من هو المغبون؟

۳- عن الإمام الصادق: ?إنّه خاطب أحد أصحابه >: یا سلیمان لا تدع قیام اللیل فإنّ المغبون من حرم قیام اللیل.<

جیفة اللیل

۴- عن الإمام الصادق >: ?إنّ أبغض الخلق إلى الله جيفة الليل وبطّال بالنهار.<

من يحب الله عزّ وجلّ؟

۵- عن الإمام الصادق >: ?إنّ الله خاطب نبيّه موسى بن عمران: يا ابن عمران كذب من زعم أنّه يحبنى فإذا جنّه الليل نام، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ إبن عمران هب لى من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع فى ظلم الليل، وادعنى تجدنى قريبا مجيبا.<

المستجاب دعوته

۶- عن النبى صلى الله عليه و اله إن العبد إذا تخلّى بسيده فى جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور فى قلبه، فإذا قال: يارب يارب، ناداه الجليل جلّ جلاله: لبيك عبدى سلنى أعطك، وتوكل على أكفك، ثم يقول جلّ جلاله لملائكته: أنظروا إلى عبدى فقد تخلى فى جوف الليل المظلم والبطالون لاهون، والغافلون نيام، إشهدوا أنى قد غفرت له.

اهتمام السابقين بصلاة الليل

كان السابقون يهتمون بقيام الليل وصلاة الليل ونافلة الليل: يُنقل أنّ شخصاً لم يَقُم ليلة لنافلة الليل فَرُئى باكياً، ولما قيل له: لماذا تبكى؟ قال: لم أقم البارحة لنافلة الليل وأفكر أنّه أى ذنب صدر منى حتى حُرِمت من ذلك؟!

وفى قضية مذكورة عن الشيخ حبيب الله الكلبايكانى:

إنّه كان يستيقظ وقت السحر مدة أربعين عاماً ويتوضأ ثم يتوجه إلى حرم الإمام الرضا ?سواء فى الحرّ أو البرد القارس والثلوج الكثيرة ويقف خلف باب الحرم يصلى صلاة الليل إلى أن تفتح الباب، فكان أول من يدخل على الامام روحى فداه وكان هذا برنامجه اليومى لمدة ۴۰ عاما.

وربما يتصور البعض أن هؤلاء ليس لهم عمل أو برنامج، فإنّ بعضهم كانوا ينامون الليل لساعتين فقط.. وكثير من التجار فى البلاد المقدسة- كما ينقل المعمرون- كانوا يستيقظون قبل طلوع الفجر ويسبغون الوضوء فى بيوتهم ثم يذهبون إلى حرم الامام الحسين? فى كربلاء المقدسة ويقفون خلف الباب المغلق ويصلون صلاة الليل إلى أن تفتح الباب فيدخلون الحرم المبارك.

إذاً صلاة الليل ليست للعاطلين عن العمل بل هى جزء من البرنامج الذى ينبغى الاهتمام به، ونحن أيضا ينبغى لنا أن نلتحق بهذا الركب وأن لا يسلب منّا هذا التوفيق العظيم، فعلى الفرد أن ينظم نومه بشكل ليتمكن من الاستيقاظ فى ذلك الوقت ويختلى بسيده ويناجى ربّه ويمهد لآخرته.

التوحيد ومكانته

الآية

الآية

رز { شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.}.

المفردات

شهد الله: الشهادهٔ لغهٔ تطلق على أحد معنيين:

الأول: تحمّل الشهادهٔ، أى المعاينهٔ عن حضور.

الثانى: أداء الشهادهٔ أى إظهار الشاهد ما تحمّله من العلم.

قائماً بالقسط: القسط هو العدل ويشمل العدل فى التكوين والتشريع والجزاء.

الإعراب

قائماً: هناك رأيان من الناحيهٔ الأدبيهٔ حول كلمهٔ قائماً:

الأوّل: أنها حال للفظهٔ >الله: < فيكون المراد شـهد الله والملائكهٔ وأولوا العلم بالوحدانيهٔ حال كون الله قائماً بالقسط، وعلى هذا الرأى يقع العدل الإلهى ضمن المشهود به.

الثانى: أنّها حال من كلمهٔ >هو، < فيقع العدل ضـمن دائرهٔ المشـهود به ودائرهٔ الشـهادهٔ، وتكون الآيهٔ: شـهد الله أنه لا إله إلا هو حال كونه قائمـاً بالقسـط– هـذا ضـمن المشـهود حال من كلمـهٔ هو– وشـهدت الملائكـهٔ بما شـهد به الله أى شـهدوا بالوحدانيـهٔ وبالعـدالهٔ وكذلك شهد أولو العلم.

التفسير: المدخل

التفسير: المدخل

الآيهٔ المباركهٔ إحدى الآيات التى كانت موضع اهتمام النبى الأعظم ?وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين..

قال بعض العلماء: إنّ النبى الأعظمصلى الله عليه و اله فى ليلهٔ عرفهٔ كان يُكثر من تلاوهٔ هذه الآيهٔ المباركهٔ، وفى الأحاديث المرويهٔ أنّها كانت موضع اهتمام أهل البيت ?وعنايتهم، ففى تفسير نور الثقلين بإسناده إلى محمد ابن عثمان العمرى قال: [لما ولد الخلف المهدى سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السـماء ثم سقط لوجهه ساجدا لربه تعالى ذكره ثم رفع رأسه ثم تلا هذه الآيهٔ المباركهٔ >: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكهٔ وأولوا العلم <إلى آخر الآيهٔ].

وفى الكافى فى خبر طويل يظهر منه أنّ كلّ إمام من أئمهٔ أهل البيت ?كان يتلوا الآيهٔ عند ولادته، فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأوّل والعلم الآخر.

وعلى ما يبـدو أنّ الآيـهٔ تتناول القاعـدهٔ التى يبتنى عليها البنيان الفكرى والعقائـدى والعملى للأمّـهٔ، ألا و هى قاعـدهٔ التوحيـد والعـدل، فالنبوهٔ تبتنى على التوحيد والعدل، وكذا الإمامهٔ فإنّ قاعدتها التوحيد والعدل، وكذلك المعاد أيضا مبتن على التوحيد والعدل.

وبعبارهٔ جامعهٔ: البناء العقائدى كله، والبناء العملى، والبناء الفكرى يبتنى على التوحيد والعدل، ولعلّه لذلك كان الاهتمام من قبل النبى وأهل بيته ?بتلاوهٔ الآيهٔ المباركهٔ.

وفى هذه الآيهٔ عدهٔ بحوث

الأول: ماهى الشهادهٔ؟

البحث الثانى: أنواع الشهادهٔ.

البحث الثالث: كيف تكون شهادهٔ الله تعالى بالوحدانيهٔ؟

البحث الرابع: كيف تكون شهادهٔ الملائكهٔ وأولوا العلم بالواحدانيهٔ؟

البحث الخامس: ما هى الرابطهٔ بين العلم والشهادهٔ بالألوهيهٔ والوحدانيهٔ؟

البحث السادس: ما هو دور العدل فى البناء الفكرى والعقائدى والعملى فى الأمة

وسنتعرض لهذه المباحث على نحو الاجمال.

الشهادة: التحمّل أو الأداء؟

البحث الأول: ما هى الشهادة وما معناها؟

تطلق الشهادة فى اللغة العربية- على نحو من الاشتراك اللفظى- بين معنيين:

الأوّل: المعاينة عن حضور أو ما يقوم مقامه كأن يريد شخص أن يقرض آخر فيطلب ممن حوله أن يشهدوا عليه بأن يعاينوا الواقعة، فيقال: شهدت الواقعة الكذائية.

الثانى: إظهار الشاهد ما تحمّله من العلم: كأن يحدث اختلاف وتُطلبون إلى المحكمة لأنّكم تحملتم علماً فتظهرون ذلك العلم الذى تحملتموه.

وبعبارة أخرى: الشهادة تطلق على التحمّل وعلى الأداء أيضاً.

الإظهار اللفظى والعملى

البحث الثانى: تنقسم الشهادة بالمعنى الثانى إلى قسمين

الأوّل: أن يكون الإظهار لفظياً.

الثانى: أن يكون الإظهار عملياً، ولعلّ الشهادة العملية غالباً أو دائماً أقوى من الشهادة اللفظية، حيث يكون الواقع حينئذ هو الذى على الحقيقة.

هل الشهادة اللفظية، دورية؟

البحث الثالث: كيف تكون شهادة الله تعالى بالألوهية؟ وكيف تفسّر الآية المباركة التى تقول: شهد الله أنّه لا إله إلا هو؟

هناك جوابان على ذلك:

الأوّل: أن تكون الشهادة لفظية ولا مانع منها إلا أنّ البعض يخالف كونها فى المقام لفظية لمانع عقلى، وتقريره: أن الشهادة اللفظية هل هى لمن لا يعتقد بالألوهية أو لمن يعتقد بها؟ ومن المشهود عنده؟ فإن كان مؤمناً يعتقد بالله عزّ وجلّ فهو لا يحتاج إلى الشهادة لكونه آمن مسبقاً بالألوهية، وإن كان كافراً، لا يعتقد بالألوهية فإن الشهادة دورية- على حسب اصطلاح العلماء- فمن لا يعتقد بالله ويكتب كتاباً عنوانه >أين الله < لا تفيده شهادة كهذه، لأنّه لا يقر بالله عزّ وجلّ فكيف يقبل شهادته، ولذا لا معنى لأن تكون الشهادة لفظية بل هى هى بمعنى آخر سنذكره إنشاء الله تعالى.

إلا أنّ هذا الكلام غير وارد- على ما يبدو فى بادئ النظر- حيث لا مانع أن تكون الشهادة لفظية- لأن الشاهد عندما يشهد بقضية، فإنّ شهادته تتضمن مضموناً معيناً، إما لا تحمل إثباتها فى ذاتها أو تحملها فى ذاتها، فلو شهدت بوجود الليل فالشهادة تحمل برهانها فى ذاتها ولا مانع منها، وكذا الشهادة بوجود الناس فى الخارج، فالشهادة بالحقائق الخارجية والنفسية تحمل إثباتاتها فى ذاتها ولا مانع حينئذ أن تكون الشهادة لفظية، والمضمون الذى تحمله الآية المباركة إثباته كامن فى ذاته، حيث إنّ كلّ شىء فى الوجود يُقرّ وينادى بالألوهية، ودعاء الامام الحسين ?يوم عرفة >: عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا < والذى لا يرى الله عزّ وجلّ أو لا يراه عليه رقيباً هو أعمى القلب، يقول الشاعر:

وفی کلّ شیء له آیة تدل علی أنّه واحد

التقیت بشاب فی إحـدی البلاد العربیة معه شـخص آخر، فقال: إنّه یُنکر وجود الله عزّ وجلّ، فتحدثت معه من زوایا مختلفة، ومما قلت له: إن قیل لک: بأن نظارتک [العوینات] وجدت صدفة بصنع الریاح التی هبت وجمعت المعادن والزجاج و ... الخ، هل تقبل ذلک؟ قـال: لاـ قلت: عینـک أدق أم النظـارة؟ فالنظارة جهاز بسـیط مقابل العین التی لم یصل العلماء علی طول التاریـخ إلی جمیع أسـرارها، فکیف تعتقـد: أن النظـارة لاـ یمکن أن توجـد إلاـ إذا کـان ورائها علماء وخبراء ومفکرون ومعامل دقیقـة وبالمقابل تعتقـد أن عینک وجدت بلا مکوّن وبلا!! ... فاحتار الشباب بالجواب..

العلم والوصول إلی الله

عندما یذهب الفرد إلی المختبر ویری دقائق الخلقة، یوقن بوجود الله سـبحانه وتعالی.. ولذا صـرّح ذلک العالم الکبیر قائلًا: وجدت الله فی المختبر.

وقـد أکـدّ القرآن الکریم علی العلم، فـإنّ العلم یؤثر تأثیراً بالغاً فی الإیمان وفی درجاته، وفی دعاء کمیل >: وعلی ضـمائر حوت من العلم بـک حتی صـارت خاشـعة، < فـالخشوع له منشـأ ومنبع، إذا وُجـد وُجـد الخشوع لله تعـالی قهراً، والخشوع حالـة باطنیـة، ویتبعها الخضوع: وهی حالة ظاهریة.

وفی القرآن الکریم: {.. إِنَّمَـا یَخْشَـی اللَّهَ مِنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاء.. }. فالعلم یقود إلی الله وإلی الخشوع والخضوع والخشـیة، ولأهمیـة العلم ومکانته أکدت علیه الروایات الشریفة أشد تأکید، منها:

۱ >- کونوا علماء <أی اجعلوا العلم جزء المنهج إلا أنّ فی بلادنا الإسلامیة العلم لیس ضمن المنهج.

۲- قال النبیصلی الله علیه و اله >: اطلبوا العلم من المهد إلی اللحد.<

۳- وقال صلی الله علیه و اله >: اطلبوا العلم ولو بالصین.<

ومما یؤسف له أنّ الطفل فی بعض البلاد غیر الإسـلامیة یولد وینشأ ضـمن منهج ویصـرف أربعین بالمائة من الأموال التی تعطی له فی الکتاب.. فینشأ هذا الطفل وهو محب للعلم ومدمن علی المطالعة.

أمّا الـذی لم یعهـد الکتـاب من طفولته ولم یتعلم علی المطالعـة فهو لا یحب الکتاب ویبتعـد عنها.. لـذا ینبغی أن یکون التعلم ضـمن المنهج..

نقل أحـد الأخوة المؤمنین، قال: رکبت القطار فی بلد غربی فرأیت أنّ کلّ شـخص أخرج کتاباً وشـرع بمطالعته، أمّا أنا فلم یکن لدی کتاب فخجلت من نفسی!.. هناک ثلاث کتب تبیّن کیف أنّ العلم یقود إلی الله عزّ وجلّ ولا بأس بقرائتها:

۱- الله یتجلی فی عصر العلم.

۲- العلم یدعوا إلی الإیمان.

۳- الطب محراب للإیمان.

وبعـد بیـان أهمیـة العلم نعود إلی ما أردنا بیانه: من عـدم المانع أن تکون الشـهادة لفظیـة لأن المضـمون الـذی تحتوی علیه هـذه الآیة المبارکـة تثبته کل ذرة من ذرات الکون الفسـیح، و وزان هذه الشـهادة وزان بقیة الإخبارات التی ذکرت فی القرآن الکریم عن العالم الربوبی عمـا یتعلق بساحـة الربوبیـة مثـل قوله تعالی: {.. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَی عَمَّا یُشْـرِکُونَ } وقوله: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. } و، ... فلا مجال للقول بدوریة الشهادة.

الجواب الثانی: إنّ الشهادة تکون شهادة عملیة وقد سبقت الإشارة فی المبحث الثانی إلی أنّ الشهادة العملیة أقوی أنواع الشهادة..

فى معنى >آية < ودلالتها لاثبات صفات الله فضلا عن وجوده

هناك ملاحظة جديرة بالذكر وهى: إنّ القرآن الكريم فى آيات متعددة يستخدم كلمة(آية) كقوله تعالى >: إن فى ذلك لآية< وقوله >: لآيات، < وقد ذكر بعض العلماء فى علم العقائد أنّ الإلفات إلى قضية الآيوية لم تكن مطروحة قبل القرآن الكريم عند المفكرين، فالأشياء كما تدلّ على أصل الوجود تدلّ على صفات الله تعالى، فكل ورقة من أوراق الأشجار كما تثبت أصل الوجود تثبت صفات الله تعالى، وعلى سبيل المثال: عندما نرى كتاباً معيناً فإنّ ذلك يثبت شيئين:

۱: وجود مؤلف لهذا الكتاب أى أصلُ الوجود، وهو مفاد كان التامة- كما يصطلح عليه العلماء-.

۲: مجموعة من صفات المؤلف، فالكتاب يثبت أن المؤلف عالم أو لا؟ قادر أو لا؟ حكيم أو لا؟ فكما أنّ الآيات الآفاقية والآيات الأنفسية وكل ذرة فى الكون تثبت أصل وجود الله سبحانه فإنّها فى الوقت نفسه تثبت مجموعة كبيرة من صفات الله سبحانه وتعالى، ومنها علمه وحكمته وعدله وقدرته، وتثبت قيوميته ورحمته: إلى كثير من هذه الصفات..

والحاصل أن شهادة الله سبحانه وتعالى يمكن أن تكون شهادة لفظية فضلًا عن كونها عملية.. فإنّ الخلق والتكوين شهادة عملية من الله سبحانه على وجوده وعلمه ووحدانيته وغيرها من الصفات..

الآية المباركة >: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة: < تشير إلى أنّ شهادة الملائكة شهادة لفظية أولاً وشهادة عملية ثانياً: لأنهم لا يخضعون إلا لله سبحانه وتعالى و: {.. لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } فهذه شهادة عملية.

>وأولوا العلم <أى أنّهم ممن شهدوا بتلك الشهادة، وجعل البارى تعالى أولى العلم إلى جانب الملائكة ليظهر موقعهم ومكانتهم المرموقة عنده، حيث إن علمهم قادهم إلى الإيمان بالله وبوحدانيته، وأولوا العلم كلهم يشهدون شهادة لفظية وشهادة عملية بوجود الله وصفاته، فالأنبياء- الذين عددهم ۱۲۴ الف نبى ويعتقد البعض أنّهم ۳۰۰ ألف نبى- والأوصياء الّذين عددهم بعدد الأنبياء أو أكثر- حيث كان لكثير من الأنبياء أكثر من وصى واحد- يمثلون قمة البشرية، والتاريخ لم يشهد مثل موسى وعيسى وابراهيم وخاتم الأنبياء محمدصلى الله عليه و اله، هؤلاء كلهم يشهدون بقولهم وبعملهم بوحدانية الله وبتفرد الله تعالى بالألوهية. وكذا العلماء الكبار.

من لا يعتقد بالغيب ليس بعالم

هناك بعض الشذاذ بين العلماء وهؤلاء لا يسمون بالعالم، لكون علمهم حجاب.. أو لأنّهم أدركوا الحقيقة ناقصة، فمثلهم كمن يسمع طرقاً على الباب ويتسمر ذهنه على الطرق ولا ينتقل إلى وجود طارق خلف الباب فهل يطلق على هذا أنّه عالم؟

حتى الطفل يؤمن بالغيب فما بالك بالعالم لا يؤمن بالغيب؟

فالطفل لو رأى حقيبة مفتوحة ودفاتره مبعثرة، يتساءل قائلًا: من عمل هذا العمل؟ فإن أجيب بأنّ الحقيبة هى التى انفتحت والدفاتر بنفسها تبعثرت، هل يرضى بالجواب ويقتنع أم يعيد السؤال بأنّه من فعل هذا؟ بل حتى الحيوان بما له من السعة العلمية الضيقة والضعيفة- حيث له درجة من العلم وإن كانت أقلّ من البشر كما يبدو- يؤمن بالغيب، فلما يسمع صوتاً يلتفت ليرى مَن خلف الصوت.. فالّذى لا يعتقد بالغيب ولاتقوده جميع هذه الآيات إلى الله سبحانه أنزل درجة من الحيوان كما فى قوله تعالى: {.. إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.. }. فالعلم يقود إلى الله سبحانه، وقمم البشرية والعلماء الكبار كلهم يشهدون شهادة لفظية وشهادة عملية بألوهية الله سبحانه وبوحدانية الله تعالى.

العدل الإلهى ومكانته

{ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } قد أشرنا مسبقاً أنّ هذه الآية المباركة

تتناول القاعدتين الأساسيتين التى يبتنى عليها البنيان العقائدى والفكرى والعملى للدّين، وقد تم البحث فى القاعدة الأولى وهى التوحيد.

العامة والإنكار الخفى للعدل

أمّا القاعدة الثانية: فهى قاعدة العدل الإلهى وهو أصل من أصول المذهب لدى الإمامية، وقد أشارت إليه الآية المباركة، والمعتزلة أيضاً وافقت الإمامية فى ذلك إلا أنّ الحقيقة المؤسفة أنّ أغلب المسلمين وللأسف حتى اليوم ينكرون العدل الإلهى، إلا أن إنكارهم العدل الإلهى إنكار خفى وليس بصريح، فقد يُنكَر الشىء بصراحة كأن يُقال: الحاكم الفلانى ليس بعادل بل هو ظالم، وأخرى يُنكر الشىء بخفاء كأن يُقال: ليس للعدل وجود واقعى حقيقى بل كلّما يفعله الحاكم فهو عدل، فقتله عدل، وسجنه عدل، وانتهاكه المحرمات عدل، وبعبارة جامعة الأمر كلّه بيد الحاكم وكلّما يفعله فهو عين العدل، كما يقول الشاعر:

لك جسمى تُعلّه فدمى لا تُطِلهُ قال أن كنت مالكاً فلى الأمر كله

وهذا الرأى فى واقعه إنكار خفى لعدالة الحاكم..

دور العقل فى معرفة العدل

والحق هو وجود العدل، لأنّه يمثل حيقفة ذاتيه يدركها العقل: فهو يدرك العدل والظلم، نعم ربما فى بعض الموارد لا يدرك العقل الواقع، إلا أنّه فى مواقع كثيرة يدرك العدل والظلم.

وأفعال الله سبحانه وتعالى كلّها فى إطار العدل.. والّذين يلغون دور العقل فى إدراك العدل والظلم ويذهبون إلى عدم استقلالية العقل فى الحكم، فإنّهم قد ألغوا دور العقل فى إدراك أصل الألوهية.. وإلا كيف يتوصل العبد إلى معرفة الله سبحانه؟ أليس عن طريق العقل؟ فهو الذى يقودنا إلى الله سبحانه وتعالى، فلو شككنا فى إدراكات العقل ولم نثق بواقعيتها ومطابقتها للواقع كما ذهب إلى ذلك الآخرون ممن خرجوا عن نطاق مذهب أهل البيت– ?لزم أن نلتزم ب:

١– أن الله سبحانه وتعالى هو الّذى أجبر أبا جهل على الكفر!! وهو يحاسبه على كفره ويقذفه فى نار جهنم!! إذ أنّ الأشاعرة الّذين يمثلون أكثرية المسلمين غير الشيعة يصرّحون أنّ هذا عين العدل!! وإن قيل لهم: إنّ العقول تقضى بأنّ هذا ظلم، يقولون >: لا ثقة بإدراكات العقل: ولا يمكن الاطمئنان بالعقل فى إدراك العدل والظلم.<

٢– ولنذكر مثالاً آخراً: فلمّا يسئلون: من الّذى جعل صدّام يرتكب هذه الجرائم والجنايات والمجازر التى ارتكبها بحق الملايين ممن قتلهم وشرّدهم وسجنهم وأيتمهم؟ يقولون >: الله أجبر صداماً على كل جرائمه!! وفى يوم القيامة يأتى صدّام إلى محكمة العدل لإلهى فيقول له الله عزّ وجلّ: لماذا ظلمت وارتكب الإبادة الجماعية؟ يجيب قائلًا: يا الله أنت الّذى أجبرتنى على ذلك، فيقول له الله عزّ وجلّ: إجبارى إياك على الظلم هو عين العدل! وإلقائى إيّاك فى جهنّم عين العدل أيضاً <!! وطبعاً باعتقاد الأشاعرة يمكن أيضاً لله عزّ وجلّ: أن يأخذ صدّاما ويضعه فى قمة الجنّة فى مصاف الأنبياء والأولياء!! وإن اعترض أحد المظلومين قائلًا: يا الله كيف تضع الظالم فى عداد الأنبياء والأولياء؟ يقول له الله عزّ وجلّ: عقولكم لا تدرك وما أقوم به هو عين العدل!!..<

ولا يخفى أنّ هذا الاعتقاد ليس منطق شخص يقول كلاماً غير مسؤول، بل هو منطق الملايين ممن لا يعتقدون بمنهج أهل البيت.?

٣– يمكن أن يلقى الله جميع أوليائه وجميع أنبيائه وجميع الأوصياء فى قعر الجحيم خالدين فيها.. هؤلاء الّذين ضحوا من أجل الله وأفنوا حياتهم من أجل مرضاته لو قذف بهم إلى قعر النار التى {.. وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } ووضع الجناة والظلمة والكفّار فى صدر الجنّة، لكان عين العدل الإلهى!!، هذا ما التزمه الأشاعرة بحجة: أنّ العقل لا يدرك!

الأشاعر والوقوع فى التناقض

لا يخفى أن تجريـد العقل من قيمته وسـلب الثقـة عنه فى إدراك الظلم والعدل يسـتلزم عدم جواز إثبات أصل الإلوهية عبر العقل! ولو سُئِلَ الأشاعرة: كيف توصـلتم إلى معرفـة الله سـبحانه؟ لأجابوا: بهـذا العقل الّـذى مَنَّ الله به علينا، ولو قيل لهم: بعد أن سـلبتم الثقة من العقل فى إدراكه للعدل والظلم، كيف تعتمدون على إدراكه فى إثبات الإلوهية؟

هـذا هو التناقض بعينه، فإمّا أن نعطى للعقل قيمته فى إدراك الإلوهية والعدل والظلم ونعتقد بكلتا القضـيتين، وإمّا أن نجرد الإدراكات العقليـة من قيمتها فى كلتا القضـيتين.. أمّا التفكيك بينهما بأن نؤمن بالإدراك العقلى فى قضـية الإلوهية، ونسـلب الثقة من إدراكه فى قضية العدل والظلم، فهو تناقض فاحش فى ذاته...

هل العدل الإلهى ضمن المشهود به؟

>قائماً بالقسط: < القسط هو العـدل، وقـد أكدت الآية المباركة وغيرها من آيات القرآن الكريم على العدل الإلهى، أمّا كلمة(قائماً) ففيها- من الناحية الأدبية- رأيان:

الأول: إنّها حـال مؤكـدة للفظـة الله سـبحانه وتعـالى، ومعه يكون المراد من الآيـة: شـهد الله حـال كونه قائماً بالقسط أنّه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم، وبناءً على ذلك: لا يقع العدل الإلهى ضمن المشهود به.

وبعبارة أخرى: المراد من الآية كتالى: شهد الله والملائكة وأولوا العلم بالوحدانية، حال كون الله سبحانه وتعالى قائماً بالقسط.

الثانى: إنّ قائماً حال من كلمة هو، فيقع ضـمن المشهود به، أى ضمن دائرة الشهادة، ومعه يكون المعنى كالتالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو حال كونه قائماً بالقسط- هـذا ضـمن المشـهود، حال من كلمـة هو-، وشـهدت الملائكـة بما شـهد به الله- أى شـهدوا بالوحـدانية وبالعدالة-، وأولوا العلم أيضا شهدوا بما شهد به الله والملائكة- يعنى شهدوا بالوحدانية والعدل-.

فالعـدل الإلهى هو الركن الثانى الـذى يبتنى عليه بناء الـدّين كله.. والعـدل يكون فى جميع الأبعاد: العـدل فى التكوين وفى التشـريع.. والجزاء.. والكتاب،.

أمّا قوله: {.. لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فهو يثير تساؤلاً جديراً بالتأمل وهو لماذا تكررت كلمة لا اله إلا الله؟

ذهب الوالـد ?فى تفسيره(تقريب القرآن إلى الأذهان) أنّ التكرار للتأكيد، لأنّ العالم قبل مجىء النبى الأعظمصـلى الله عليه و اله كان غارقاً فى أوحال الشـرك والوثنيـة، وحتى زماننا الراهن الكثير من نقاط العالم غارقـة فى الوثنية والشـرك، فى الهند والصـين وغيرها.. ومئات الملايين من المشركين فى العالم المسيحى واليهودى، فالتكرار إنّما هو للتأكيد على الوحدانية لله عزّ وجلّ..

عاملان وراء الظلم

سؤال آخر يُطرح وهو: لماذا ذكرت هاتان الصفتان >العزيز الحكيم < فى سياق هذه الآية المباركة؟

لعلّ ذلك باعتبار ذكر صفة العدل- التى تقابل صفة الظلم- فى الآية الكريمة، حيث يوجد عاملان وراء الظلم:

الأول: الضـعف، فهو من الأسباب الرئيسية وراء ظلم الظالم ووجود عقدة الضعف فيه، كما نقرأ فى الدعاء الشريف >وإنّما يحتاج إلى الظلم الضـعيف وقد تعاليت يا إلهى عن ذلك علواً كبيراً < فالحاكم يظلم شعبه لأنّه يشعر بالضعف وأن كيانه يتهدم فيشعر بخطر على نفسه فيظلم ويقتل ويهدم.. إذن العدل يحتاج قوة.

الثانى: الجهل، ففى بعض الأحيان لا يريد الشخص أن يظلم ولكنّه يجهل: يقول الشاعر:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى

والکثیر من الآباء یحتارون فی طریقة التعامل مع أطفالهم، فهل یحتاجون إلی الترغیب أو إلی الترهیب؟

فإن الأب لا یعرف فربما یصفع الطفل لأنّه یظن أنّ تأدیبه بصفعه ولکنّه أخطأ فی تشخیص القضیة.. فالعدل یحتاج إلی معرفة: أین تضع الشیء وکیف. ولعلّه من هذا المنطلق قالت الآیة الکریمة >: لا اله إلا هو < تأکیداً لقضیة الإلوهیة >، العزیز الحکیم < العزیز القوی الّذی لا یُغلَب، الحکیم: العالم الّذی یضع الأشیاء فی موضعها.

خلاصة القول: إنّ ما ذکرناه إشارة مختصرة إلی قضیة العدل والظلم والأمر بحاجة إلی بحوث مستوعبة سنؤجلها إلی مجال آخر باذن الله جلّ وعلا.

أمّا الآیة اللاحقة فإنّها تتناول البنیة الفوقیة التی تبتنی علی هاتین القاعدتین سوف نتحدث عنها فی حدیث قادم بإذن الله تعالی. وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین.

یقول المقرر:

وهذا آخر ما تفوه به الأستاذ الفقیه المقدس آیة الله السید محمد رضا الشیرازی رضوان الله علیه فی تفسیره لسورة آل عمران، فرحمه الله من عالم کان اللسان الناطق لهدی أهل البیت? وتعالیمهم فحشره الله معهم وفی درجتهم إنّه کریم سمیع مجیب وقد أهدیت هذا الجهد القلیل إلی سیدی ومولای أبی عبد الله الحسین ? وإلی ابنته المضطهدة التی جادت بنفسها فی فراق إمامها.

اللهم تقبل منّا هذا القلیل بفضلک ومنّک، واغفر لنا تقصیرنا وخطایانا بعفوک ورحمتک یا أرحم الراحمین.

وقد تم مراجعته فی ثالث لیالی القدر فی مشهد الإمام الرضا ? لیلة ۲۳ من شهر رمضان المبارک من عام ۱۴۲۹ هجری. تم تقریره بید: محمد علی الشیرازی.

پی نوشتها

. الطبرسی، الفضل ابن الحسن، تفسیر مجمع البیان، ج۲، ص: ۲۳۲.

. هو المؤرخ الإنکلیزی أرنولد جوزف توینبی ((Arnold J. Toynbee من أشهر المؤرخین فی القرن العشرین، ولد فی ۱۴ أبریل ۱۸۸۹ وتوفی فی ۲۲ أکتوبر ۱۹۷۵، فسّر نشوءَ الحضارات الأُولی أو کما یُسمِّیها الحضارات المُنقطعة، من خلال نظریَّته الشهیرة الخاصَّة ب " التحدِّی والاستجابة، " التی یعترفُ بأنَّه استلهمَها من عِلم النَفس السلوکیّ وعلی وَجه الخصوص من کارل یونغ (۱۸۷۵م–۱۹۶۱م) الذی یقول فیها: إنّ الفَرد الذی یتعرّضُ لصدمةٍ قد یفقدُ توازُنَه لفترةٍ ما، ثمّ قد یستجیبُ لها بنوعَین من الإستجابة: الأُولی: النکوص إلی الماضی لاستعادته والتمسُّک به تعویضًا عن واقعه المُرّ، فیُصبح انطوائیًا. والثانیة: تقبُّل هذه الصدمة والاعتراف بها ثمّ مُحاولة التغلُّب علیها، فیکون فی هذه الحالة انبساطیًا. فالحالة الأولی تُعتَبرُ استجابةً سلبیّة، والثانیة إیجابیّة بالنسبة لعلم النفس.

. المیانجی، علی بن حسین علی، مواقف الشیعة، ج۳، ص: ۱۲۳.

. سورة التوبة: ۲۵.

. سورة آل عمران: ۱۲۳.

. سورة آل عمران: ۱۲۱.

. نجران: منطقة جبلیة فی شمال الیمن ولعل هناک أکثر من منطقة یطلق علیها نجران.

. نزلت الآیات فی وفد نجران: العاقب والسید ومن معهما. قالوا لرسول الله(صلی الله علیه وآله): هل رأیت ولدا من غیر ذکر؟ فنزل: (إن مثل عیسی عند الله کمثل آدم..) الآیات، فقرأها علیهم، عن ابن عباس وقتادة والحسن، فلما دعاهم رسول الله إلی المباهلة، استنظروه إلی صبیحة غد من یومهم ذلک. فلما رجعوا إلی رجالهم، قال لهم الأسقف: انظروا محمدا فی غد، فإن أتی بولده وأهله، فإحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه علی غیر شیء، فلما کان الغد جاء النبی " صلی الله علیه وآله وسلم " آخذا بیده علی

بن أبی طالب " علیه السلام، " والحسن " علیه السلام، " والحسین " علیه السلام " بین یدیه یمشیان، وفاطمة " علیها السلام " تمشی خلفه، وخرج النصاری یقدمهم أسقفهم، فلما رأی النبی " صلی الله علیه وآله وسلم " قد أقبل بمن معه سأل عنهم، فقیل له: هذا ابن عمه، وزوج ابنته، وأحب الخلق إلیه. وهذان ابنا بنته من علی " علیه السلام. " وهذه الجاریة بنته فاطمة، أعز الناس علیه، وأقربهم إلی قلبه. وتقدم رسول الله " صلی الله علیه وآله وسلم " فجثا علی رکبتیه. قال أبو حارثة الأسقف: جثا والله کما جثا الأنبیاء للمباهلة فکع – ضعف وجبن– ولم یقدم علی المباهلة. فقال السید: أدن یا أبا حارثة للمباهلة. فقال: لا إنی لأری رجلا جریئا علی المباهلة، وأنا أخاف أن یکون صادقا، ولئن کان صادقا لم یحل والله علینا الحول، وفی الدنیا نصرانی یطعم الماء! فقال الأسقف: یا أبا القاسم! إنا لا نباهلک، ولکن نصالحک فصالحنا علی ما ینهض به.

وروی أن الأسقف قال لهم: إنی لأری وجوها لو سألوا الله أن یزیل جبلا من مکانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلکوا، ولا علی وجه الأرض نصرانی إلی یوم القیامة. وقال النبی: والذی نفسی بیده لو لاعنونی لمسخوا قردة وخنازیر، ولاضطرم الوادی علیهم نارا، ولما حال الحول علی النصاری حتی یهلکوا کلهم! قالوا: فلما رجع وفد نجران لم یلبث السید والعاقب إلا یسیرا حتی رجعا إلی النبی، وأهدی العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلین، وأسلما.

المصدر: الطبرسی، محمد بن الحسن، مجمع البیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۳۱۰

. سورة آل عمران: ۱–۶

. راجع کتاب المؤلف رحمه الله: التدبر فی القرآن، ج۱، ص: ۲۷۷.

. یری المؤلف (رحمه الله) أن أهم قضیة فی التحدی الحضاری فی الوقت الراهن والذی یعد استمراراً لما سبق من نهج المعارضین وعلی ذات الخطی، هو توجیه الضربة إلی نبوة النبی محمد (صلی الله علیه وآله) باعتبارها القاعدة التی یستند عیها الدین، وبالتحدید إلی الأساس الذی تستند علیه وهو مصدرها، أی القرآن الکریم، فالدین کله مستند علی النبوة والنبوة مستندة علی القرآن الکریم لاعتباره وثیقة النبوة، بل أهم وثیقة فیها؛ والآیات فی بدایة هذه السورة تشیر إلی هذا التحدی.

. الحویزی، عبد علی بن جمعة العروسی، تفسیر نور الثقلین، ج۱، ص: ۲۷.

. سورة الزخرف: ۳۱.

. هو الشاعر الجاهلی لبید ابن ربیعة العامری، قدم مع قومه علی النبی(صلی الله علیه وآله) سنة تسع للهجرة الشریفة فأسلم وأحسن إسلامه، ترک قول الشعر منذ إسلامه وحتی وفاته، عمّر طویلاً ومات وهو ابن ۱۴۰ سنة وقیل ۱۵۷، وکانت وفاته سنة إحدی وأربعین هجریة علی أشهر الأقوال.

. عن الشعبی قال: کتب عمر بن الخطاب إلی المغیرة بن شعبة عامله علی الکوفة أن ادع من قبلک من الشعراء فاستنشدهم ما قالوا من الشعر فی الجاهلیة والإسلام ثم اکتب بذلک إلیَّ، فدعاهم المغیرة فقال للبید: أنشدنی ما قلت من الشعر فی الجاهلیة والإسلام. قال: أبدلنی الله عزّ وجلّ بذلک سورة البقرة وسورة آل عمران...

المصدر: الطبری، محمد بن جریر، المنتخب من کتاب ذیل المذیّل، ص: ۴۲–۴۳.

. هو الولید بن المغیرة، کان شیخاً کبیراً مجرباً من دهاة العرب وکان من المستهزئین برسول الله(صلی الله علیه وآله)، وکان رسول الله(صلی الله علیه وآله) یقعد فی الحجر ویقرء القرآن، فاجتمعت قریش إلی الولید بن المغیرة فقالوا: یا أبا عبد شمس ما هذا الذی یقول محمد؟ شعر أم کهانة أم خطب؟ فقال: دعونی أسمع کلامه، فدنا من رسول الله صلی الله علیه وآله فقال: یا محمد أنشدنی من شعرک، قال: ما هو شعر، ولکنه کلام الله الذی ارتضاه الملائکة وأنبیاؤه ورسله، فقال: أتل علیَّ منه شیئا، فقرأ علیه رسول الله صلی الله علیه وآله حم السجدة، فلما بلغ قوله": فإن أعرضوا فقل لهم "أنذرتکم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " قال: فاقشعر الولید وقامت کل شعرة فی رأسه ولحیته، ومرّ إلی بیته ولم یرجع إلی قریش من ذلک فمشوا إلی أبی جهل فقالوا: یا أبا الحکم إن أبا عبد شمس

صبأ إلی دین محمد أما تراه لم یرجع إلینا؟ فعدا أبو جهل إلی الولید فقال له: یا عم نکست رؤوسنا وفضحتنا، و أشمت بنا عدونا، وصبوت إلی دین محمد، قال: ما صبوت إلی دینه، ولکنی سمعت کلاما صعبا تقشعر منه الجلود! فقال له أبو جهل: أخطب هی؟ قال: لا، إن الخطب کلام متصل، وهذا کلام منثور ولا یشبه بعضه بعضا، قال: فشعر هو؟ قال: لا، أما إنی قد سمعت أشعار العرب بسیطها ومدیدها ورملها ورجزها وما هو بشعر، قالوا: فما هو؟ قال: دعنی افکر فیه، فلما کان من الغد قالوا له: یا أبا عبد شمس ما تقول فیما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله علی رسوله فی ذلک ": ذرنی ومن خلقت وحیدا " وإنما سمی وحیدا لانه قال لقریش: أنا أتوحد بکسوة البیت سنة وعلیکم فی جماعتکم سنة ...، المصدر: المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار، ج۹، ص: ۲۴۵.

. سورة البقرة: ۲۸۲.

. إن فشل المعارضین لهذا القرآن علی مدی أربعة عشر قرن أثار فی نفوسهم الخوف والرهبة، إذ لمسوا سیطرته علی العقول والأنفس بشکل لا یُقاوم، فهو کالمصباح الکهربائی بالنسبة للشمعة، والذی فی یده المصباح یُرهب الذی فی یده الشمعة، لأن قوته تکتسح بلا منازع وهو خلاف مراد الأعداء؛ لذا تجد الحروب ضده قائمة علی قدم وساق لإطفائه فیقف الناس عندها فی الظلمة لا سبیل لهم إلا الالتفاف حول الشمعة، وهو السر فی قیام الحروب ضد الدین والحجاب والمسلمین والشعارات الإسلامیة، مع أنهم بنوا بلادهم علی أساس الحریة کما یزعمون، إلا أن هذه الحرب لازالت تمدهم بالخیبة وتمد المسلمین بالأمل، خصوصاً لمّا یطّلعوا علی الاعترافات الخطیرة لعلمائهم بعظمة القرآن الکریم والإذعان له کقول العالم الفلکی" جیمس جینز "مثلًا الذی سمع العالم المسلم" عنایة الله المشرقی "یتلو الآیة الکریمة {إِنَّمَا یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}/فاطر: ۲۸، فصرخ قائلًا: مدهش وغریب إنه الأمر الذی کشفت عنه بعد دراسة استمرت خمسین سنة من أنبأ محمداً به؟ هل هذه الآیة موجودة فی القرآن حقیقة؟ لو کان الأمر کذلک فأنا أشهد أن القرآن کتاب موحی به من عند الله. (نص کلام المؤلف— رحمه الله- مع تعدیل وإضافة).

. سورة المائدة: ۶۴.

. سورة الرعد: ۳۳.

. أگر دیدی که نابینا وچاه است أگر خاموش بنشینی گناه است

. بمعنی أن الوجوب العقلی ثابت ومنشأه لطف الله تعالی بعباده.

. سورة البقرة: ۲۸۵.

. بعض الآیات التی أشارت للتحریف فی التوراة والإنجیل:

{إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَیِّنَاتِ وَالْهُدَی مِن بَعْدِ مَا بَیَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِی الْکِتَابِ أُولَئِکَ یَلعَنُهُمُ اللّهُ وَیَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}/ سورة البقرة: ۱۵۹.

{إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْکِتَابِ وَیَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِیلاً أُولَئِکَ مَا یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ یُکَلِّمُهُمُ اللّهُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ وَلاَ یُزَکِّیهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ}/ سورة البقرة: ۱۷۴.

{مِّنَ الَّذِینَ هَادُواْ یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَیَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَیْنَا وَاسْمَعْ غَیْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَیًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِی الدِّینِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَکَانَ خَیْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَکِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِکُفْرِهِمْ فَلاَ یُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِیلاً }/ سورة النساء: ۴۶.

{.. قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْکِتَابَ الَّذِی جَاء بِهِ مُوسَی نُورًا وَهُدًی لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِیسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ کَثِیرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُکُمْ قُلِ اللّهُ..}/ سورة الأنعام: ۹۱.

. هناک رأیان فی وقوع التحریف فی التوراة والإنجیل لدی العلماء، الأول یقول: بوقوع التحریف فی التوراة والإنجیل إلا بعض الموارد، من قبیل ثبوت الخبر بنبوة النبی محمد(صلی الله علیه وآله)، وإلا لم یصح الاحتجاج بالتوراة والإنجیل؛ والآخر یقول: إن

التحريف وقع فى كل التوراة والإنجيل، وهو أمر يمنع من الاحتجاج به، إذ أن الاحتجاج لايصح مع الكتاب المحرف الذى تسرى شبهة التحريف فيه إلى صحيحه، بل يكون مع الكتاب غير المحرف، لذا قال أصحاب هذا الرأى أن علماء اليهود والنصارى قد أبعدوا الكتاب غير المحرف عن أيدى عوام الناس لكى لا ـ يطّلعوا على الحقائق فيتبعوا شريعة محمد(صلى الله عليه وآله) وقرّبوا المحرف إليهم ليبقوا على دينهم القديم، دين الحاخامات والقساوسة والرهبان.

. الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ۲: ۱۲ _ ۱۴.

. الختان كان عهد الله على إبراهيم عهدا" أبديا "جاء فى سفر التكوين ۱۷: ۱۳" يختتن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضّتك فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً " ثم جاء بولس وقال: فى رسالته إلى غلاطية ۵: ۲": هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ خُتِنْتُمْ، لاَـ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً ... لاَ نَفْعَ لِلْخِتَانِ وَلاَ لِعَدَمِ الْخِتَانِ، بَلْ لِلإِيمَانِ الْعَامِلِ بِالْمَحَبَّةِ "كذلك فى ۶: ۱۵" لَيْسَ الْخِتَانُ بِشَيْءٍ، وَلاَ عَدَمُ الْخِتَانِ بِشَيْءٍ."

. أساس هذا المجمع فى الديانة اليهودية، إذ كان رؤساء كهنة اليهود يعقدون مجامع للسيد المسيح (مت ۲۶: ۳) و (مر ۱۵: ۱)، كما أعتاد الرب يسوع ان يجتمع مع تلاميذة ويفسر لهم أقواله السماوية عندما يعسر عليهم فهمها، وأخذت المسيحية النظام اليهودى هذا وعقدت أول مجمع سجل فى التاريخ الكنسى المسيحى وكان مكانه فى أورشليم عام ۵۰ ميلادية برئاسة القديس يعقوب الرسول أسقف أورشليم (أعمال ۱۵) ثم أخذت الكنيسة الجامعة فى العالم عن الرسل الأطهار هذا المبدأ فكانت تعقد المجامع كلما حدث خلاف فى البيعة أو انتشار فكر غريب أو وجد من الأمور ما يستدعى ذلك كتقرير حكم جديد مثلًا أو أى تغيير آخر فى الإنجيل.

. الخلاصة: إن الشبهة القائلة أن الإسلام يصدق الشرائع السماوية السابقة، و يحق للفرد الاختيار فى أن يكون على أى دين شاء، مردودة بتصديق القرآن الكريم للتوراة والإنجيل غير المحرفين، وقد ثبت أنهما حرفا، لذا لا تصديق لهما من قبل القرآن الكريم، وأما بالنسبة لغير المحرفة فمجىء الإسلام وكتابه القرآن الكريم لا يعنى إلغاءها، وذلك لوقوعها كلها فى طول واحد لا فى عرض واحد، لاعتبار أن منشأ صدورها واحد وهدفها واحد وهى كتب تعاليم وقوانين لدين واحد وهو الإسلام، والالتزام بها يكون بما هو موجود فى المرحلة الراهنة وهو القرآن الكريم الحاوى على تعاليم التوراة والإنجيل غير المحرفين وزيادة متناسبة مع عصره الممتد من حين نزوله إلى قيام الساعة.

. أى الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى(رحمه الله).

. العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ۲۱ من ۲۲-۲۳. العهد الجديد، أعمالرالرسل، رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح ۳: ۱۳، نص العبارة: اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ».

. سورة الأنفال: ۲۹.

. العياشى، محمد بن مسعود، تفسير العياشى، ج۱، ص: ۱۶۲.

. ذكر المؤلف (رحمه الله) فى هذا الموضع كلاماً كان متناسباً مع زمن خاص ومورد معين فى زمن إلقاءه، ولكون البحث فى هذا المقطع بحثاً علمياً محضاً، لم نورده فى المتن، ومراعاة للأمانة فى النقل نورده فى هذا الهامش، قال(رحمه الله"): ونحن نشهد اليوم نموذجاً جزئياً لهذا الصراع فى العراق، حيث الآن مرحلة تدوين الدستور.. فكيف يجب ان يُدَوَّن هذا الدستور، وما هو المصدر الذى يستند اليه الدستور، هل المصدر قوانين الله تعالى أو القوانين البشرية."؟

. سورة الأنعام: ۵۷.

. فى هذا الموضع من الكلام بدأ المؤلف (رحمه الله) بإثبات جهل الإنسان ليثبت النتيجة التى قدمها بأن الجاهل لايحكم وأن الإنسان جاهل.

. الأنصارى، مرتضى، فرائد الأصول، ج۱، ص: ۴۹۶.

. سورة لقمان: ۱۶.

. الطوسى، محمدابن الحسن، تهذيب الأحكام، ج۶، ص: ۲۱.

. الفيض الكاشانى، محسن، التفسير الصافى، ج ۱، ص ۳۱۶ – ۳۱۸

. المصدر السابق.

. البحرانى، السيد هاشم بن سلمان، البرهان فى تفسير القرآن، م۱، ج۳، ص: ۲۶۹، ح۲.

. المصدر السابق، ح۳.

. المصدر السابق، ح۴

. سورة الإخلاص: ۱.

. سورة ا?سراء: ۳۷.

. سورة لقمان: ۱۹.

. لاحظ إنّ الألفاظ الوصفية التى استخدمها الأب لبيان معنى لذة العلم لولده لم تستطع بيان المعنى الشامخ لها وقصرت عنه قصوراً ذاتياً، إذ أن لذة العلم تدرك حقيقتها فى مقام العمل لا الوصف الذى يقرب المعنى للواقع و لا يكشف عن كنه حقيقته.

. سورة الرعد: ۳۵.

. سورة النور: ۳۵.

. أى ما دام كلمة البصير يطلقها الإنسان ويعنى بها العين الجارحة، فإطلاقها من دون تخصيص أو قرينة صارفة عن معناها الظاهرى، يؤكد ذلك المعنى الظاهر من اللفظ وهو العين الجارحه، الأمر الذى استلزم لدى البعض ثبوت محذور التجسيم على الله جلّ وعلا إذا ما أطلقت الكلمة على الذات المقدسة، لذا التزم بعدم إطلاقها عليها، وهو أمر يستدعى التفريط بحقيقة ثابتة وهى: أن الله تعالى بصير بعباده.

. سورة ا?نفال: ۱۷.

. إذن من خلال الأمثلة الآنفة الذكر اتضح أن قصور الألفاظ عن عكس الحقائق الشامخة اللامحدودة والقضايا الغيبية، مما يسبب ظاهرة التشابه فى القرآن الكريم.

. إن مقصود المؤلف ?من تحويل الاستعارات والمجازات إلى منحى باطل هو: حمل المعنى على ظاهره الذى يستلزم منه الساد العقائدى وغيره.

. سورة القلم: ۴۲.

. البخارى، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخارى، م ۳، باب وتقول هل من مزيد، رقم ۴۸۴۸.

. سورة غافر: ۳۶.

. سورة المائدة: ۶۴.

. الزمخشرى، جاد الله محمود بن عمر، ج۱، ص: ۶۵۴.

. سورة الإسراء: ۲۹.

. سورة القيامة: ۲۲ — ۲۳.

. سورة التوبة: ۶۷.

. سورة البقرة: ۱۹۴.

. المشاكلة تعنى المضاهات و المناسبة و المشابهة، ولكن الفرق بين المشابهة و المشاكلة هو: إنّ المشاكلة تكون فى الهيئة والصورة

والند، والشبه یکون فی الکیفیة.

. سورة المائدة: ۱۱۶.

. البخاری. ج۵، ص: ۱۳۸، باب مرض النبی ووفاته.

. المصدر السابق، ج۷، ص: ۹، باب قول المریض قوموا عنی.

. نقل الشیخ الأمینی فی کتاب الغدیر الجزء السابع فی الصفحة ۱۷۹ عن ما أخرجه الحافظ العاصمی عن سلمان الفارسی ?قال: لما قبض النبی ?اجتمعت النصاری إلی قیصر مالک الروم فقالوا له: أیها الملک أنا وجدنا فی الإنجیل رسولاً یخرج من بعد عیسی اسمه أحمد، وقد رمقنا خروجه وجائنا نعته فأشر علینا فإنا قد رضیناک لدیننا ودنیانا، قال: فجمع قیصر من نصاری بلاده مائة رجل وأخذ علیهم المواثیق أن لا یغدروا ولا یُخْفُوا علیه من أمورهم شیئاً، وقال: وانطلقوا إلی هذا الوصی الذی من بعد نبیهم فسلوه عما سُئل عنه الأنبیاء ?وعما أتاهم به من قبل، والدلایل التی عرفت بها الأنبیاء، فإن أخبرکم فآمنوا به وبوصیه واکتبوا بذلک إلیَّ، وإن لم یخبرکم فاعلموا أنه رجل مطاع فی قومه یأخذ الکلام بمعانیه ویرده علی موالیه، وتعرفوا خروج هذا النبی. قال: فسار القوم حتی دخلوا بیت المقدس واجتمعت الیهود إلی رأس جالوت فقالوا له مثل مقالة النصاری بقیصر، فجمع رأس جالوت من الیهود مائة رجل، قال سلمان فاغتنمت صحبة القوم فسرنا حتی دخلنا المدینة وذلک یوم عروبة – یعنی یوم الجمعة وکان یسمی قدیما بیوم عروبة – وأبو بکر قاعد فی المسجد یفتی الناس، فدخلت علیه فأخبرته بالذی قدم له النصاری والیهود فأذن لهم بالدخول علیه فدخل علیه رأس جالوت فقال: یا أبا بکر إنا قوم من النصاری والیهود جئناکم لنسألکم عن فضل دینکم فإن کان دینکم أفضل من دیننا قبلناه وإلا فدیننا أفضل الأدیان؟ قال أبو بکر: سل عما تشاء أجبک إن شاء الله. قال: ما أنا وأنت عند الله؟ قال أبو بکر: أما أنا فقد کنت عند الله مؤمناً وکذلک عند نفسی إلی الساعة ولا أدری ما یکون من بعد. فقال الیهودی: فصِف لیَّ صِفَةَ مکانک فی الجنة وصفة مکانی فی النار لأرغب فی مکانک وأزهد عن مکانی؟ قال: فأقبل أبو بکر ینظر إلی معاذ مرة وإلی ابن مسعود مرة، وأقبل رأس جالوت یقول لأصحابه بلغة أمته: ما کان هذا نبیا. قال سلمان: فنظرت إلی القوم وقلت لهم: أیها القوم! ابعثوا إلی رجل لو ثنیت له الوسادة لقضی لأهل التوراة بتوراتهم ولأهل الإنجیل بإنجیلهم ولأهل الزبور بزبورهم ولأهل القرآن بقرآنهم، ویعرف ظاهر الآیة من باطنها وباطنها من ظاهرها. قال معاذ: فقمت فدعوت علی بن أبی طالب وأخبرته بالذی قدمت له الیهود والنصاری فأقبل حتی جلس فی مسجد رسول الله، ?قال ابن مسعود: وکان علینا ثوب ذل: فلما جاء علی بن أبی طالب کشفه الله عنا، قال علی: سلنی عما تشاء أخبرک إن شاء الله قال الیهودی: ما أنا وأنت عند الله؟ قال أما أنا فقد کنت عند الله وعند نفسی مؤمناً إلی الساعة فلا أدری ما یکون بعد، وأما أنت فقد کنت عند الله وعند نفسی إلی الساعة کافراً ولا أدری ما یکون بعد.. قال رأس جالوت: فصف لی صفة مکانک فی الجنة وصفة مکانی فی النار فأرغب فی مکانک وأزهد عن مکانی قال علیٌ: یا یهودی! لم أر ثواب الجنة ولا عذاب النار فأعرف ذلک، ولکن کذلک أعدّ الله للمؤمنین الجنّة وللکافرین النار، فإن شککت فی شیئ من ذلک فقد خالفت النبی ?ولست فی شیئ من الإسلام. قال: صدقت رحمک الله فإن الأنبیاء یوقنون علی ما جاؤا به فإن صدقوا آمنوا وإن خولفوا کفروا. قال: فأخبرنی أعرفت الله بمحمد أم محمداً بالله؟ فقال علیٌ: یا یهودی! ما عرفت الله بمحمد ولکن عرفت محمداً بالله لأن محمداً محدود مخلوق وعبد من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه وألهم الله نبیه کما ألهم الملائکة الطاعة وعرَّفهم نفسه بلا کیف ولا شبه. قال صدقت. قال: فأخبرنی الربُّ فی الدنیا أم فی الآخرة؟ فقال علیٌ: إنّ " فی " وعاء فمتی ما کان بفی کان محدوداً ولکنّه یعلم ما فی الدنیا والآخرة وعرشه فی هواء الآخرة وهو محیط بالدنیا والآخرة بمنزلة القندیل فی وسطه إن خلیت یکسر إن أخرجته لم یستقم مکانه هناک فکذلک الدنیا وسط الآخرة. قال: صدقت. قال: فأخبرنی الربُّ یَحمِلُ أو یُحمَلُ؟ قال علیُ بنُ أبی طالب: یحمل. قال رأس جالوت: فکیف وإنّا نجد فی التوراة مکتوباً ویَحمِلُ عرش ربک فوقهم یومئذ ثمانیة؟ قال علیٌ: یا یهودی: إن الملائکة تحمل العرش والثری یحمل الهواء والثری موضوع علی القدرة وذلک قوله تعالی: { له ما فی السموات وما فی الأرض وما بینهما وما تحت الثری}. قال الیهودی: صدقت رحمک الله.

. سورة النساء: ۷۶.

. الدارمی، عبد الله بن بهرام، سنن الدارمی، ج۲، باب الکلالة، ص: ۳۶۶.

. سورة الذاریات: ۳.

. روی المتقی الهندی فی کنز العمال الجزء الثانی فی الصفحة ۵۱۰ حدیث رقم ۴۶۱۷ عن سعید بن المسیب قال: جاء صبیغ التمیمی إلی عمر بن الخطاب فقال: یا أمیر المؤمنین أخبرنی عن الذاریات ذروا؟ فقال: هی الریاح، ولولا إنّی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقوله ما قلته. قال: فأخبرنی عن الحاملات وقرا؟ قال: هی السحاب، ولولا إنّی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقوله ما قلته. قال: فأخبرنی عن الجاریات یسرا؟ قال: هی السفن، ولولا إنّی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقوله ما قلته، قال فأخبرنی عن المقسمات أمرا؟ قال: هی الملائکة، ولولا أنی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقوله ما قتله. ثم أمِرَ به فضُرب مائة وجعل فی بیت فلمّا برأ دعاه فضربه مائة أخری وحمله علی قتب وکتب إلی أبی موسی الأشعری: إمنع النّاس من مجالسته، فلم یزالوا کذلک حتی أتی أبا موسی فحلف له بالأیمان المغلّظة ما یجد فی نفسه مما کان یجد شیئاً، فکتب فی ذلک إلی عمر، فکتب عمر ما إخاله إلا قد صدق فخِل بینه وبین مجالسة الناس.

. السیوطی، جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر، الجامع الصغیر، ج۲، ص: ۱۷۷، ح ۵۵۹۴.

. ا?بطحی، محمد علی الموحد، تهذیب المقال فی تنقیح کتاب الرجال، ج۳، ص: ۱۳۱.

. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار، ج۹، ص: ۱۹۵، ح۴۵.

. سورة النساء: ۱۵۹.

. رمقه، أی أطال النظر إلیه. منه.?

. ویقصح الحجّاج إنّ هذه الآیة تصطدم بالواقع الخارجی حیث لا أراه یشهد ویقر بالنبوة. منه.?

. أی لیس علی المعنی الذی خطر بذهنک. منه.?

. فالضمیر یرجع إلی عیسی ابن مریم ?حیث إنّه یصلی خلف المهدی المنظر. ?منه.?

. وهی کلمة تعجب. منه.?

. روی الشیخ الصدوق فی کتاب الهدایة فی الصفحة ۱۹ عن الطرائف: إن الحجاج بن یوسف کتب إلی الحسن البصری وإلی عمرو بن عبید وإلی واصل بن عطاء وإلی عامر الشعبی أن یذکروا ما عندهم وما وصل إلیهم فی القضاء والقدر، فکتب إلیه الحسن البصری: إن أحسن ما سمعت من أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ?أنه قال: یا ابن آدم أتظن إن الذی نهاک دهاک، وإنما دهاک أسفلک وأعلاک، والله برئ من ذلک. وکتب إلیه عمرو بن عبید: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول علی بن أبی طالب: ?لو کان الوزر فی الأصل محتویاً کان الموزور فی القصاص مظلوماً. وکتب إلیه واصل بن عطاء: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ?إنه قال: أیدلک علی الطریق ویأخذ علیک المضیق. وکتب إلیه الشعب: أحسن ما سمعت فی القضاء والقدر قول أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ?إنه قال: کل ما استغفرت الله تعالی منه فهو منک، وکل ما حمدت الله تعالی فهو منه. فلمّا وصلت کتبهم إلی الحجّاج ووقف علیها، قال: لقد أخذوها من عین صافیة.

. سورة النحل: ۴۴.

. سورة الزخرف: ۴۴

. سورة الأنعام: ۹۰.

. سورة طه: ۵.

. سورة الشوری: ۱۱.

. نهج البلاغة، تحقیق محمد عبدة، ج۲، ص: ۲۱، خ۱۳۸.

. سورة الرحمن: ۱۰.

. سورة الأنفال: ۱.

. سورة الکهف: ۷۸.

. سورة البقرة: ۲۰.

. سورة النساء: ۱۷۱.

. نهج البلاغة، تحقیق محمد عبده، ج۱، ص: ۱۰۸، خ۱۶.

. سورة الأنعام: ۵۷.

. سورة المائدة: ۴۴.

. بن شهر آشوب، رشید الدین أبی عبد الله محمد بن علی، مناقب آل أبی طالب، ج۲، ص: ۳۶۹.

. سورة النساء: ۳۵.

. سورة المائدة: ۹۵.

. یسمی هذا المرض ب (الغرغرینة): وهو مرض موت ا?نسجة وتعفنها وتصیب عادة أَطراف جسم ا?نسان إلا أنها قد تصیب أی مکان فی الجلد أو ا?عضاء الداخلیة وتنشأ من عدوی موضعیة أو من توقف الدورة الدمویة فی ذلک الموضع أو تصلب الشرایین عند کبار السن أو مرضی السکری الشدیدة التی ینتج عنها ضیق الشرایین فی ا?طراف السفلی.

. سورة النساء: ۳.

. سورة النحل: ۴۴.

. الطوسی، محمد بن الحسن، الخلاف، ج۱، ص: ۳۳.

. روی عن ابن أبی لیلی أنه قدم إلیه رجل خصماً له فقال: إن هذا باعنی هذه الجاریة فلم أجد علی رکبها حین کشفتها شعراً وزعمک أنّه لم یکن لها قط، قال: فقال له ابن أبی لیلی: إن الناس لیحتالون لهذا بالحیَل حتی یذهبوا به فما الذی کرهت؟ قال: أیها القاضی إن کان عیباً فاقض لی به، قال: حتی أخرج إلیک فإنی أجد أذیً فی بطنی ثم دخل وخرج من باب آخر فأتی محمد ابن مسلم الثقفی فقال له: أی شیٔ تروون عن أبی جعفر ?فی المرأة لا یکون علی رکبها شعر أیکون ذلک عیباً؟ فقال له محمد بن مسلم: أمّا هذا نصاً فلا أعرفه، ولکن حدثنی أبو جعفر عن أبیه عن آبائه ?عن النبی ?أنه قال: کل ما کان فی أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عیب. فقال له ابن أبی لیلی: حسبک ثم رجع إلی القوم فقضی لهم بالعیب. أصول الکافی، ج۵، ص: ۲۱۵. ح۱۲.

. الکلینی، محمد بن یعقوب، أصول الکافی، ج۱، ص: ۲۱۳، ح۲.

. الطبرسی الفضل بن الحسن، إعلام الوری بأعلام الهدی: ج۱، ص: ۲۶۷.

". المشکک: هُوَ المتفاوتة أفراده فی صدق مفهومه علیها "لذا فهُوَ متفاوت فی الشدة والضعف أو الکثرة أو القلة أو ا?ولویة والتقدم، والعلم من الحقائق الکلیة التی ینطبق علیها هذا المعنی. کتاب المنطق، المظفر محمد رضا، ج۱، ص: ۷۰.

. الکلینی، محمد بن یعقوب، أصول الکافی، ج۱، ص: ۲۱۳.

. ذکر الشریف الرضی (ره) فی کتابه حقائق التأویل أن العلماء انقسموا تجاه هذه ا?یة إلی ثلاثة أقسام: ا?ول: وقف علی الواو وجعلها بدایة جملة استئنافیة وبذلک أخرج العلماء من أن یعلموا بکنه التأویل وحقائقه. الثانی: وقف علی إلا واتخذ الواو علی إنها عاطفة، لذلک أعطوا للعلماء میزة ا?شتراک بمعرفة التأویل. الثالث: وقف ما بین ا?ول والثانی علی مسافة واحدة فلم یعطهم میزة معرفة التأویل کل العطاء ولم یمنعها منهم کل المنع. ونحن إذا ما اردنا تمحیص هذه ا?راء علی ضوء تفسیر هذه ا?یة المبارکة والروایات الشریفة

بتکون النتیجة: مَع ملاحظة أن معرفة التأویل من الحقائق التشکیکیة التی لها مراتب مختلفة کما ذکر المؤلف ?آنفاً، وکذلک الرأی الذی ذکره الشریف الرضی ?فی کتابه والذی یعطی مفهوماً بوجود إمکانیة الاشتراک فی المعرفة بالتأویل، کذلک توفر المصداق أو المصادیق لعنوان (الراسخون فی العلم) الذی صرحت به الروایات الشریفة وذکره علماء التفسیر آنفاً، إذا اردنا کنه المعرفة بالتأویل وحقیقته بتمامها فهذا منحصر بالنبی ?وأهل بیته المعصومین، ? وإذا أردنا بعض مراتب العلم بالتأویل با?مر مشترک بین النبی وأهل بیته ? وبین العلماء الذین أیضاً یصدق علیهم أنهم الراسخون فی العلم، لکن کل بحسب نسبته ودرجته العلمیة والمعرفیة.

. سورة آل عمران: ۸–۹.

. التقدیر فی هذهِ المفردة هُو (جامع الناس للجزاء فی یوم لا ریب فیه) فلما حذف لفظ الجزاء دخلت علی ما یلیه فأغنت عن حرف الجر (فی?) ن حروف ا?ضافة متوافیة لما یجمعها من معنی ا?ضافة.

. سورة الأعراف: ۹۹.

. توجد هناک مناطق فی الکرة ا?رضیة ملغمة وبعضها من آثار الحرب العالمیة الثانیة (منه).?

. سورة البقرة: ۱۷.

. سورة البقرة: ۲۵۷.

. عنه، عن أبن فضال، عن أبی بکیر، عن بعض أصحابنا، عن أبی عبد الله قال: (من هم بخیر فلیعجله ولا یؤخره، فإنّ العبد ربما عمل العمل فیقول الله تبارک وتعالی: قد غفرت لک ولا أکتب علیک شیئاً أبداً ومن هم بسیئة فلا یعملها، فإنّه ربما عمل العبد السیئة فیراه الله سبحانه فیقول: لا وعزتی وجلالی، لا أغفر لک بعدها أبدا). الکلینی محمد بن یعقوب، أصول الکافی، ج۲، ص: ۱۴۲، ح۷.

. قال رسول الله: ?إذا زنی الرجل فارقته روح ا?یمان. قال: هو قوله: (وَأَیَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) (ذاک الذی یفارقه). الفیض الکاشانی، محمد محسن، الأصفی فی تفسیر القرآن الکریم، ج۲، ص: ۱۲۸.

. محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسن بن محبوب، عن زید الشحام قال: سمعت أبا عبد الله ?یقول: أحسنوا جوار نعم الله واحذروا أن تنتقل عنکم إلی غیرکم أما إنها لم تنتقل عن أحد قط فکادت أن ترجع إلیه، قال: وکان علی ?یقول: قلّ ما أدبر شئ فأقبل. الکلینی، محمد بن یعقوب، فروع الکافی، ج۴، ص۳۸، ح۳.

. عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله: ?أکثروا من أن تقولوا ": ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا " ولا تأمنوا. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار، ج۹۱، ص: ۱۸۱، ح۸.

. سورة النحل: ۹۲.

. روی الصدوق فی الخصال روایة ا?مام الصادق ?تحت رقم ۱۹۹ فی الصفحة ۱۵۷ أنّه قال: ما زال الزبیر منّا أهل البیت حتی أدرک فرخه فنهاه عن رأیه.

. الشیخ المفید، الفصول المختارة، ص: ۱۴۴.

. من هامش کتاب فقه الرضا ص: ۴۵. محمد بن علی الشلمغانی– بالشین المعجمة والغین المعجمة– ویکنی أبا جعفر، ویعرف بابن أبی العزاقر– بالعین المهملة والزاء والقاف والراء أخیراً– وإلیه تنسب العزاقرة، وکان متقدما فی أصحابنا مستقیم الطریقة، فحمله الحسد لأبی القاسم الحسین بن روح علی ترک المذهب والدخول فی المذاهب الردیة وإحداث شریعة منها أن الله یَحلّ فی کل إنسان علی قدره، وظهرت منه مقالات منکرة، فتبرأت الشیعة منه، وخرجت فیه توقیعات کثیرة من الناحیة المقدسة علی ید أبی القاسم بن روح وکیل الناحیة. قال الحافظ الذهبی فی العبر: فی سنة (۳۲۲) اشتهر محمد بن علی الشلمغانی ببغداد، وشاع أنه یدعی الألوهیة وأنه یحیی الموتی وکثر أتباعه، فأحضره الوزیر ابن مقلة عند الراضی بالله – فسمع کلامه– وقال: إنّ لم تنزل العقوبة بعد ثلاثة أیام – و أکثره تسعة أیام – وإلا فدمی حلال. ولما طلب هرب إلی الموصل وغاب سنین ثم عاد ودعا إلی الألوهیة وتبعه – فیما قبل– الحسین وزیر

المقتدرین الوزیر القاسم بن الوزیر عبید الله بن وهب، وابنا بسطام، وإبراهیم بن أبی عون، فلما قبض علیه ابن مقلة کبس بیته فوجد فیه رقاعا وکتبا مما قیل عن. ویخاطبونه فی هذه الرقاع بما لا یخاطب به البشر. فأحضر وأصر علی الانکار، فصفعه ابن عبدوس، وأما ابن أبی عون فقال: إلهی وسیدی ورزاقی، فقال الرضی لابن الشلمغانی: أنت زعمت أنک لا تدعی الربوبیة، فما هذا؟ فقال: وما علی من قول ابن أبی عون؟ ثم أحضروا غیر مره وجرت لهم فصول، وأحضرت الفقهاء والقضاء ثم أفتی الأئمة بإباحة دمه، فأحرق فی ذی القعدة وضربت رقبة ابن أبی عون، ثم أحرق وهو فاضل مشهور صاحب تصانیف أدبیة.

. روی الطبرسی فی تفسیر مجمع البیان الجزء التاسع فی الصفحة ۴۳۸ عن ابن عباس قال: إنّه کان فی بنی إسرائیل عابد اسمه برصیصا، عبد الله زمانا من الدهر حتی کان یؤتی بالمجانین یداویهم ویعوذهم فیبرأون علی یده، وإنّه أتی بامرأة فی شرف قد جُنّت، وکان لها إخوة فأتوه بها، فکانت عنده فلم یزل به الشیطان یزین له حتی وقع علیها فحملت. فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها. فلمّا فعل ذلک، ذهب الشیطان حتی لقی أحد إخوتها فاخبره بالذی فعل الراهب، وأنّه دفنها فی مکان کذا ثم أتی بقیة إخوتها رجلاً رجلاً، فذکر ذلک له، فجعل الرجل یلقی أخاه فیقول: والله لقد أتانی آت فذکر لی شیئاً یکبر علی ذکره! فذکر بعضهم لبعض حتی بلغ ذلک ملکهم، فسار الملک والناس، فاستنزلوه فاقر لهم بالذی فعل، فأمر به فصُلب. فلمّا رُفع علی خشبته تمثل له الشیطان فقال: أنا الذی ألقیتک فی هذا، فهل أنت مطیعی فیما أقول لک أخلصُک مما أنت فیه؟ قال: نعم. قال: اسجد لی سجدة واحدة. فقال: کیف أسجد لک وأنا علی هذه الحالة؟ فقال: أکتفی منک بالإیماء. فاومی له بالسجود فکفر بالله، وقتل الرجل.

. الطوسی، محمد بن الحسن بن علی بن الحسن، مصباح المتهجد، ص: ۵۰.

. الطبرسی، المیرزا حسین النوری، مستدرک الوسائل، ج۱۱، ص: ۳۸۳، ح۹.

. قال عبد الله بن مسعود: سمعت رسول الله ?یقول لأبی ذر الغفاری: (تمشی وحدک، وتموت وحدک، وتبعث وحدک)/ا?مینی، عبد الحسین، الغدیر، ج۸ ص: ۳۱۴.

. سورة النحل: ۱۰۵.

. سورة الواقعة: ۲.

. سورة آل عمران: ۱۰-۱۳.

. عن الزهری قال: قالَ علیُ بنُ الحسینِ: [?لو مات ما بینَ المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن یکون القرآن معی،..]/ العیاشی، محمد بن مسعود، تفسیر العیاشی، ج۱، ح۲۳.

. سورة النازعات: ۲۴.

. سورة الزخرف: ۵۱.

. سورة الزلزلة: ۲.

. سورة الأنعام: ۹۴.

. سورة عبس: ۳۴-۳۶.

. سورة النمل: ۳۴.

. سورة النمل: ۵۲.

. سورة البقرة: ۲۴.

. سورة آل عمران: ۱۱.

. سورة الشعراء: ۱۳۰.

. کما ورد فی دعاء الافتتاح.

. سورة الدخان: ۲۵–۲۹.

. الجزائری، نعمة الله، النور المبین فی قصص ا?نبیاء والمرسلین، ص: ۴۷۱.

. فالنصاری یعبدونه والمسلمون یقدّسونه.

. سورة محمد: ۷.

. سورة آل عمران: ۱۴–۱۵.

. الطبرسی، الفضل ابن الحسن، تفسیر مجمع البیان، ج۲، ص: ۶۳.

. الطوسی، محمد ابن الحسن، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۳، ص: ۱۵۲.

. التقوی لغةً مأخوذةٌ من الوقایة، وهی: حفظ الشیء مما یؤذیه ویضره، یقال: وقیت الشیء أقیه وقایة ووقاء، قال: «ووقاهم عذاب السعیر وما لهم من الله من واق». ... والتقوی اصطلاحاً: جعل النفس فی وقایة مما یخاف، وهی فی عرف الشرع حفظ النفس مما یؤثم وذلک بترک المحظور، ویتم ذلک بترک بعض المباحات لما روی ": الحلال بیّن، والحرام بیّن، ومن رتع حول الحمی فحقیق أن یقع فیه. " لقد رکز القرآن علی التقوی فی آیات عدیدة منها الحشر/۱۸ ومنها: الحج/۱ ومنها آل عمران/ ۱۰۲ والسرّ فی ذلک هو أنّ الله جعلها هی المقیاس فی القرب والبعد منه والتشریف لعبده دنیا وآخرة (الحجرات ۱۱۳) کما أن بها ینال السعادة الحقیقیة.

. سورة القیامة: ۵–۶.

. سورة النمل: ۲۴.

. سورة الأنعام: ۴۳.

. سورة الکهف: ۷.

. الحویزی، عبد علی بن جمعة العروسی، تفسیر نور الثقلین، ج۳، ص: ۶۲۳، ح۲۳۶.

. سورة الأعراف: ۲۷.

. الکاشانی، محمد محسن الفیض، الأصفی فی تفسیر القرآن، ج۱، ص: ۱۴۱.

. سورة الروم: ۵۴.

. سورة القصص: ۸۳.

. سورة یوسف: ۳۷.

. سورة آل عمران: ۱۵.

. سورة النمل: ۴۴.

. سورة الأحزاب: ۳۳.

. نهج البلاغة، تحقیق محمد عبده، ج۴، ص: ۹۸، ح۴۱۹.

. { إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنَّاتٍ وَنَعِیم * فَاکِهِینَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِیم * کُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِیئًا بِمَا کُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّکِئِینَ عَلَی سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِینٍ * وَالَّذِینَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّیَّتُهُم بِإِیمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَیْءٍ کُلُّ امْرِئٍ بِمَا کَسَبَ رَهِینٌ * وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاکِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا یَشْتَهُونَ * یَتَنَازَعُونَ فِیهَا کَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِیهَا وَلَا تَأْثِیمٌ * وَیَطُوفُ عَلَیْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ کَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّکْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَی بَعْضٍ یَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّا کُنَّا قَبْلُ فِی أَهْلِنَا مُشْفِقِینَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَیْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا کُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِیمُ }/ سورة الطور: ۱۷–۲۸.

. عدة من أصحابناعن أحمد بن أبی عبد الله البرقی، عن الحسن بن أبی قتادة، عن رجل، عن جمیل بن دراج قال: قال ابو عبد الله (علیه السلام): ما تلذذ الناس فی الدنیا وا?خرة بلذة أکثر لهم من لذة النساء وهو قول الله عزّ وجلّ: (زین للناس حبّ الشهوات من النساء

والبنین ــ إلی آخر ا?یـة) ــثم قال: وإن أهل الجنـة ما یتلـذذون بشـیء من الجنـة أشـهی لهم من النکاح لا طعام ولا شـراب. الکلینی/ محمد بن یعقوب/ الفروع من الکافی، ج۵، ص: ۳۲۱، ح ۱۰.

. سورة التوبة: ۷۲.

. سورة آل عمران: ۱۷.

. الدلیل علی القول بأن الظلم أصل فی ا?نسان هُوَ قوله تعالی: (وحملها ا?نسان إنه کان ظلوماً جهولاً)/ ا?حزاب: ۷۲.

. منع الکحـول بسـبب أضـراره علی المجتمـع فی أمیرکـا وشـرع المنـع دسـتوریاً عـام ۱۹۱۹م ثـم أعیـد عـام ۱۹۳۴م وأمـا فی روسـیا فالمحاولات لمنعه کانت أقدم حیث کان أول منع له ومحاربته رسـمیاً عام ۱۹۱۴م من قبل القیصر نیقولای الثانی الذی سار علی نهجه لنفس السبب الرئیس السوفیتی غوربتشوف عام ۱۹۸۵م وکل المحاولات باءت بالفشل.

. سورة المائدة: ۹۰?.

. البخاری، محمد بن اسماعیل، البخاری، ج۳، ص: ۱۰۳.

. سورة الزخرف: ۳۶.

. سورة النحل: ۱۰۵.

. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسائل الشیعة، ج۱۷، ص: ۳۸۴، ح۵.

. سورة الطلاق: ۲–۳.

. الحر العاملی، محمد ابن الحسن، وسائل الشیعة، ج۱۰، ص: ۳۱۳، ح ۲۰.

. ا?مینی، عبد الحسین، الغدیر، ج۶، ص: ۲۹۶.

. سورة الأحزاب: ۲۳.

. سورة النحل: ۳۱.

<. إنّ رسول الله ? خرج عام الفتـح إلی مکة فی رمضان فصامَ حتی بلغ کراع الضـمیم فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتی نظر الناس إلیه ثم شـرب، فقیل له بعـد ذلک! إنَّ بعض الناس قـد صام، فقال: أولئک العصاة، أولئک العصاة/ > رواه مسـلم (۳/۱۴۱–۱۴۲) والنسائی (۱/ ۲۶۸).

. نقل الثعالبی، عبد الرحمن بن محمد فی تفسیره فی الصـفحة ۴۱۶ من الطبعـة الأولی قال: حـدثنا أحمد بن زهیر التستری ثنا علی بن المنذر الطریقی ثنا محمد بن فضیل ثنا إسماعیل بن مسلم عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال أهللنا مع النبی صلی الله علیه وسلم فقدمنا مکـة لأـربع خلون من ذی الحجـة فأمرنـا رسول الله صـلی الله علیه وسـلم أن نحلهـا ونجعلها عمرة، فأحللنا الحل کله فطفنا بالبیت وبین الصـفا والمروة حتی إذا کان یوم الترویـة أمرنا فأهللنا الحنفیة فقال بعضـنا لبعض خرجنا من أرضـنا حتی إذا لم یکن بیننا وبین منی إلا أربع نخرج ومـذاکیرنا تقطر منیـاً؟ فبلغ ذلک رسول الله صـلی الله علیه وسـلم فقال: أتتهمونی وأنا أمین أهل السـماء وأهل الأرض، أما إنی لو استقبلت من أمری ما استدبرت ما کان الهدی إلا من مکة ولم یذکر قصة سراقة. المصادر ا?خری للروایة: ابن ماجة/ القزوینی/ محمد بن یزید/ سـنن ابن ماجة، ج۲، ص: ۹۹۲، ح ۲۹۸۰. ابن حبان فی صـحیحه/ ج۹، ص: ۲۳۳. الطبرانی/ المعجم الکبیر، ج۷، ص: ۱۲۵ و۱۲۷. الشـیخ النجمی/ محمد صادق/ أضواء علی الصـحیحین، الصفحتان ۲۹۵و ۲۹۸. ا?حمدی المیانجی/ مواقف الشـیعة، ج۳، ص: ۳۹۵. ابن حنبل/ أحمد/ المسند، ج۳، ص: ۳۱۷.

. الحر العاملی، محمد ابن الحسن، وسائل الشیعة، ج۱، ص: ۱۸. العسقلانی، ابن حجر، سیل ا?سلام، ج۳، ص: ۱۷۳ رقم۳.

. سورة الحشر: ۹.

. سورة البقرة: ۱۰۲.

. الحر العاملی، وسائل الشیعۀ، ج۶، ص: ۲۸۱، ح۹.

. المجلسی، محمد باقر، بحار ا?نوار، ج۸۴، ص: ۱۲۰.

. الحویزی، عبد علی بن جمعۀ، تفسیر نور الثقلین، ج۱، ص: ۳۲۱، ح۶۱.

. الحر العاملی/ وسائل الشیعۀ/ ج۸، ص: ۱۶۲، ح۱۰.

. الصدوق، محمد بن علی الحسین، الأمالی، ص: ۳۰۴، ح۳.

. الطوسی، محمد بن الحسن، تهذیب الأحکام، ج۲، ص: ۱۲۲، ح۲۳۰.

. المجلسی، محمد باقر، بحار الأنوار، ج۸۴، ص: ۱۵۸، ح۴۶.

. الحر العاملی، وسائل الشیعۀ، ج۴، ص: ۱۱۲۵، ح۲.

. أی قلبه یکون قلباً نورانیاً. منه.?

. أی ساهون: قال الشیخ الطریحی فی کتابه مجمع البحرین فی مادۀ (ل ه و) فی قوله تعالی: { لاهیۀ قلوبهم } أی ساهیۀ بالباطل مشغولۀ عن الحق..

. الحر العاملی، الجواهر السنیۀ فی الأحادیث القدسیۀ، ص: ۱۴۰.

. سورۀ آل عمران: ۱۸.

. الحویزی، عبد علی بن جمعۀ العروسی، تفسیر نور الثقلین، ج۱، ص: ۳۲۱، ح۶۳.

. روی > علی بن محمد، عن عبد الله بن إسحاق العلوی، عن محمد بن زید الرزامی عن محمد بن سلیمان الدیلمی، عن علی بن أبی حمزۀ، عن أبی بصیر قال: حججنا مع أبی عبد الله علیه السلام فی السنۀ التی ولد فیها ابنه موسی علیه السلام، فلما نزلنا الأبواء وضع لنا الغداء وکان إذا وضع الطعام لأصحابه أکثر وأطاب، قال: فبینا نحن نأکل إذا أتاه رسول حمیدۀ فقال له: إن حمیدۀ تقول: قد أنکرت نفسی وقد وجدت ما کنت أجد إذا حضرت ولادتی، وقد أمرتنی أن لا أستبقک بابنک هذا، فقام أبو عبد الله علیه السلام فانطلق مع الرسول، فلما انصرف قال له أصحابه: سرّک الله وجعلنا فداک فما أنت صنعت من حمیدۀ؟ قال سلّمها الله وقد وهب لی غلاماً وهو خیر من برأ الله فی خلقه، ولقد أخبرتنی حمیدۀ عنه بأمر ظنت أنی لا أعرف ولقد کنت أعلم به منها، فقلت: جعلت فداک وما الذی أخبرتک به حمیدۀ عنه؟ قال: ذکرت أنه سقط من بطنها حین سقط واضعاً یدیه علی الأرض، رافعاً رأسه إلی السماء، فأخبرتها أن ذلک أمارۀ رسول الله صلی الله علیه وآله وأمارۀ الوصی من بعده، فقلت: جعلت فداک وما هذا من أمارۀ رسول الله صلی الله علیه وآله وأمارۀ الوصی من بعده؟ فقال لی: إنه لما کانت اللیلۀ التی علق فیها بجدی أتی آت جد أبی بکاس فیه شربۀ أرق من الماء وألین من الزبد وأحلی من الشهد وأبرد من الثلج وأبیض من اللبن، فسقاه إیاه وأمره بالجماع، فقام فجامع فعلق بجدی ولما أن کانت اللیلۀ التی علق فیها بأبی أتی آت جدی فسقاه کما سقی جد أبی وأمره بمثل الذی أمره فقام فجامع فعلق بأبی، ولما أن کانت اللیلۀ التی علق فیها بی أتی آت أبی فسقاه بما سقاهم وأمره بالذی أمرهم به فقام فجامع فعلق بی، ولما أن کانت اللیلۀ التی علق فیها بابنی أتانی آت کما أتاهم ففعل بی کما فعل بهم فقمت بعلم الله وإنی مسرور بما یهب الله لی، فجامعت فعلق بابنی هذا المولود فدونکم فهو والله صاحبکم من بعدی، إن نطفۀ الامام مما أخبرتک وإذا سکنت النطفۀ فی الرحم أربعۀ أشهر وانشئ فیها الروح بعث الله تبارک وتعالی ملکا یقال له: حیوان فکتب علی عضده الأیمن " وتمت کلمۀ ربک صدقا وعدلا لا مبدل لکلماته وهو السمیع العلیم " وإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً یدیه علی الأرض رافعاً رأسه إلی السماء، فأما وضعه یدیه علی الأرض فإنه یقبض کل علم لله أنزله من السماء إلی الارض وأما رفعه رأسه إلی السماء فإن منادیاً ینادی به من بطنان العرش من قبل رب العزۀ من الأفق الأعلی باسمه واسم أبیه یقول: یا فلان بن فلان اثبت تثبت، فلعظیم ما خلقتک أنت صفوتی من خلقی وموضع سری وعیبۀ علمی وأمینی علی وحیی وخلیفتی فی أرضی، لک ولمن تولاک أوجبت رحمتی ومنحت جنانی وأحللت جواری، ثم وعزتی وجلالی لأصلیّن من عاداک أشد عذابی وإن

وسّعت عليه فى دنياى من سعة رزقى فإذا انقضى الصوت – صوت المنادى – أجابه هو واضعا يديه رافعا رأسه إلى السماء يقول " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر واستحق زيارة الروح فى ليلة القدر، قلت: جعلت فداك الروح ليس هو جبرئيل؟ قال: الروح هو أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وإن الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى ": تنزل الملائكة والروح. أصول الكافى، ج۱، ص: ۳۸۵–۳۸۷، ح۱.

. المجلسى، محمد باقر، بحار الأنوار، ج۶۴، ص: ۱۴۲.

. هو العالم ألبرت أنشتاين: صاحب نظرية ازدواجية المادة والجُسَيم، قال هذا الكلام فى إحدى المقابلات الصحفية عندما طُرح عليه سؤال: أين الله فى فكرك؟ فأجاب.. عندما أدخل المختبر.

. سورة فاطر: ۲۸.

. الطبرسى، الفضل ابن الحسن، تفسير مجمع البيان، ج۲، ص: ۳۳۱، فى تفسير قوله تعالى: { ولكن كونوا ربانيين }.

. القمى، على ابن إبراهيم، تفسير القمى، ج۲، ص: ۴۰۱.

. الحر العاملى، وسائل الشيعة، ج۲۷، ص: ۲۷، ح۲۰.

. الكتاب للمؤلف جون كلوفر، وهو قسيس أميركى عاش فى منتصف القرن العشرين، صدر هذا الكتاب فى أميركا عام ۱۹۵۸م وهو عبارة عن جمع لمقالات أربعين عالماً فى مختلف علوم الطبيعة، وقد كتبت تلك المقالات فى معرض الإجابة على سؤالين طرحهما القسيس كلوفر، الأول: هل تؤمن بوجود الرب؟ والثانى: كيف دل العلم الذى تدرسه على ذلك؟

. أصل الكتاب للمؤلف كريسى موريسون رئيس الأكاديمية العالمية فى نيويورك سابقاً، وعنوانه (الإنسان لا يقوم وحده) كتبه رداً على كتاب (الإنسان يقوم وحده).

. أصل هذا الكتاب رسالة أعدت لنيل لقب الدكتوراه فى الطب تأليف الطبيب خالص جلبى كنجو.

. سورة الزمر: ۶۷.

. سورة محمد: ۱۹.

. سورة البقرة: ۲۴۸.

. سورة الأنعام: ۹۹.

. إشارة إلى الآية المباركة: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ.. }/ فصلت: ۵۳.

. سورة التحريم: ۶.

. سورة الفرقان: ۴۴.

. سورة آل عمران: ۱۸.

. هو الإمام الراحل المرجع: آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى.?

. الطوسى، محمد ابن الحسن، مصباح المتهجد، ص: ۱۹۵.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ

الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله" الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهٖ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹